

مكتبة المدني الإلكترونية

Almdni.Com

تم تحميل هذا الملف من

مكتبة المدني الإلكترونية الشاملة

آلاف الكتب والدروس والأمثلة والمحاضرات المقروءة والمسموعة والمرئية

www.liilas.com/vb3
 ^ RAYAHEEN ^

APPROVED

الدكتور
 المؤسسة العربية الحديثة
 للطباعة والنشر والتوزيع
 طرابلس - بيروت - عمان - جدة
 هاتف: 011-444-4444

بقلم: ه. ج. ويلز
 ترجمة وإعداد:
 د. أحمد خالد توفيق

الغرفة الحمراء

المؤلف

المجموعة التالية من القصص القصيرة ، هي مجموعة منتقاة من القصص الخيالية للأديب الإنجليزي العظيم (هربرت جورج ويلز) (*)

ومن الغريب أن شهرة الأعمال الخيالية لـ (ويلز) تفوق بكثير شهرة أعماله الواقعية .. من منا لم يسمع عن قصص (الرجل الخفى) أو (آلة الزمن) أو (جزيرة د . مورو) ؟ .. ولعل هذا يرجع إلى أن النوعية الأولى أكثر إمتاعاً وشعبية ..

على أن النقاد - ومنهم د . (لويس عوض) الذى نقتبس هنا بعض عباراته - يقسمون أدب (ويلز) إلى ثلاث مجموعات :

١ - الأساطير العلمية : على غرار ما ذكرناه ..

(*) (هـ . ج . ويلز) من الكتاب العالميين المعدودين الذين اشتهروا بالحروف الأولى من أسمائهم ، ومنهم د . (هـ . لورانس) ، و (ج . ب . شو) و (ر . ل . ستنتسون) و (ت . س . إليوت) .

٢ - القصص الواقعية : مثل (كيبس) و (تونو بنجى) و (سيرة مستر بولوى) ، وهذه المجموعة هى الأرقى والأكثر ثراءً فى محتواها الأدبى .

٣ - القصص الخيالية : مثل (مستر برتلنج) و (أن فيرونكا) وكلها خالية من المحتوى الأدبى ، بل هى أقرب إلى مناقشات للآراء الاجتماعية تبرز فيها طبيعة المفكر المصلح أكثر من طبيعة الفنان ..

ولما كان ما سبقه اليوم يندرج تحت المجموعة الأولى ، فإننا سنتجاهل عن عمد الحديث عن المجموعتين الأخريين ، وإن كنا نعد بتقديم أحد أعمال (ويلز) الواقعية قريباً إن شاء الله ..

توجد سمة عامة فى منهج أساطير (ويلز) العلمية .. وهى أنه يجتهد لتصور مستقبل البشرية إذا ما وضع العلم فى خدمة المجتمع ..

وفى قصة (آلة الزمن) يبدو متأثراً بشدة بمنهج (داروين) ونظرية التشوؤ والارتقاء .. وفى قصص أخرى يتصور مصلاً تحقق به الحيوانات فتتكلم وتفكر كالإنميين ، أو محلولا يشره الناس فتشرف أجسادهم حتى تغدو خفية .. أو حرباً بين كوكبنا وغيره من الكواكب .

ولقد جرت العادة على أن يوضع (ويلز) مع الفرئسى (جول فيرون) فى سلة واحدة .. ويرى د . (لويس عوض) أن هذا تعسف .. فكلما الرجلين يجعل العلم أداة الخيال ، لكن (فيرون) يكتفى بالمغامرة القصصية المثيرة .. أما (ويلز) فيعرض تأملاته وآراءه ويعيد بناء المجتمع ونقده .. وهو شديد الإيمان بالمنهج العلمى فى القياس .. ويصف أبطاله وأحداث القصة وصفاً بارداً شبيهاً بعالم يصف أحد الأحياء الدقيقة تحت عدسة المجهر ..

* * *

ولد (ويلز) فى ٢١ سبتمبر ١٨٦٦ فى (بروملى) بـ (كنت) .. أبوه (جوزيف ويلز) كان يملك ورشة صغيرة ، بينما أمه كانت خادمة قبل أن تتزوج .. وعمل (ويلز) الصغير فترة فى محل لبيع الصوف فى (وندسور) [وصف هذه الفترة فى قصته (كيبس)] .. ثم جاهد حتى تمكن من الدراسة فى الكلية الإمبراطورية للعلوم ، وتخرج فيها بامتياز .. ثم عمل مدرساً .. وتفرغ للكتابة عام ١٨٩٣ .. وكتب فى كل شيء تقريباً .. من نشأة وحيدات الخلية إلى مؤتمرات الصلح ، ومن ألعاب

الصفحة	قصاص الكتاب
١١	(بونوك) ورجل (البوروه)
٣٦	جزيرة الـ (ايبورونيس)
٥١	الغرفة الحمراء
٦٢	حقيقة (هايكرافت)
٨٤	إمبراطورية التمل
١٠٨	في مرصد (أليو)
١٢١	التصارات دباغ

* * *

الأطفال إلى قوتين الاقتصاد ... ويرى د . (نويمن
عوض) أن الرجل كتب كثيراً جداً .. بل (ربما أكثر
مما ينبغي ..) وهذا حق ..

وبعد حياة حافلة ، توفي (ويلز) في ١٣ أغسطس
عام ١٩٤٦ في التاسعة والسبعين من عمره .. بعد أن
ترك طابعه الذي لا يمحي في عقول هذا الجيل ..

* * *

في المجموعة التالية نقدم لك - في كتيبين - عددًا
من القصص القصيرة الخيالية التي كتبها (ويلز) ..
وتلمس فيها تنوعاً غير عادي .. ونقابل وحوشاً لم
نتصور وجودها .. سترتجف أوصالتنا حين ندخل الغرفة
الحمراء ، ونضحك مما يحدث لـ (هايكرافت) ..
وتدهش لما نراه في بلد العميان ... سنقابل الكثير
من التنوع .. والفكاهة .. والسحر والمأساة .. والشعر
.. والقليل جداً من الرعب ..

إذن .. دعونا نبدأ الآن

* * *



(بولوك)

ورجل

(البوروه)

(بولوك) ورجل (البوروه)

تم اللقاء الأول بين (بولوك) ورجل (البوروه) في شبه جزيرة (تيرنر) .. في قرية مليئة بالمستنقعات .. كان رجل (البوروه) منهما في طعن امرأة في قلبها (كأنه إيطالي من السوقة) ، ثم حاول أن يطعن (بولوك) بدوره ..

لكن هذا الأخير تحاشى الطعنة التي كانت في طريقها لتمزق عضلة كتفه ، ورفع مسدسه نحو الرجل .. وأطلق الرصاص على يده ، فطار الخنجر في الهواء .. صوب مسدسه مرة أخرى ، لكنه أخطأ هدفه .. عندئذ وقف رجل (البوروه) على باب الكوخ يحدق في (بولوك) .. وأبرك الإنجليزي أنه وحيد .. وأنه مريض يرتجف لخطورة الموقف ..

لقد حدث كل شيء في وقت أقل من الوقت اللازم لقراءة هذه السطور ... وفي اللحظة التالية اختفى رجل (البوروه) تماماً ..

لقد ماتت المرأة .. وسار (بولوك) مترنحا إلى مدخل الكوخ .. ينظر إلى الأكواخ التي تلتصق في ضوء الشمس الحارق .. وكان ستة من الحماليين الذين

جاءوا مع الحملة يقفون خارج أكوأخهم ، ينتظرون في
تساؤل عما عساه يكون مصدر هذه الطلقات ..

في حذر خرج (بولوك) من الكوخ قاصداً النهر ..
ناظراً فوق كتفيه من حين لآخر .. لكن رجل (البوروه)
كان قد تلاشى ، وبعبسية اعتصر (بولوك) المسدس
في قبضته ..

جاء أحد الرجال ليشير إلى الأشجار خلف الكوخ ،
حيث تلاشى رجل (البوروه) .. وشعر (بولوك) بأنه
كان أحمق إلى حد مطلق .. والأدهى هنا أن عليه أن
يخبر (ووترهاوس) بما حدث .. (ووترهاوس)
المثالي المتحفظ الذي لن يأخذ الأمور ببساطة أبداً ..

تباً لهذا الحظ السيئ الذي يلازم (بولوك) منذ جاء
إلى ساحل إفريقيا الغربية !.. لقد سلم هذه الحملة تماماً
.. وفي مؤخرة رأسه ظل يتساءل في ريبه عن المكان
الذي يريض فيه رجل (البوروه) ..

لم يكن ما رآه من مصرع المرأة ليصدمه .. فلقد
رأى الكثير من الوحشية في الشهور الثلاثة الأخيرة ..
رأى نساء قتيلات ، وأكوأخا محترقة ، وهياكل عظمية
جافة ، على طول الطريق من نهر (كيتام) إلى هنا ..
حتى أن حواسه تبلدت تماماً ..

مضى إلى القل تحت أشجار البرتقال ، حيث كان
(ووترهاوس) مستلقياً ، شاعراً أنه تلميذ ذاهب إلى
مكتب ناظر المدرسة ليلقى عقابه ..

كان (ووترهاوس) .. نالماً تحت تأثير دواء
(الكلوروداين) المنوم .. وجلس (بولوك) جوارده ،
وأشعل غليونه منتظراً حتى يصحو ..

راح يتأمل الأسلحة التي جمعها (ووترهاوس) من
قبائل (المندى) ، والتي كان ينوى شحنها في قارب
إلى (سولوما) ..

وصحا (ووترهاوس) وتثأب .. وتمطى معلناً أنه
يشعر بالانتعاش ، فجلب له (بولوك) بعض الشاي ..
وراح يحكى له ما حدث اليوم .. ولم يكن رد فعل
(ووترهاوس) عنيفاً كما توقع (بولوك) .. بل كان
مروعاً !.. لم يكتف الرجل بالاستكثار .. بل راح يؤنب
(بولوك) .. بل ويهينه :

- أنت واحد من هؤلاء الحمقى - حطب جهنم -
الذين لا يعتبرون الزنوج بشراً .. لا يمكنني أن استمتع
بالمرض إلا وأراك قد تورطت في عمل قذر .. للمرة
الثالثة في شهر واحد أراك تقع في مشاكل مع الوطنيين ..

لكنك في هذه المرة تستحق انتقاماً ..

(بوروه) ؟ من جديد ؟ إنهم ما زالوا يحملون لك الضغائن منذ قمت بكتابة اسمك السخيف على صنمهم .. وهم لا ينسون الإساءة أبداً كالشياطين .. أنت تجعلني أخرج من كوني متحضراً .. لو أنني ورطت نفسي ثانية مع غبى غريب مثلك .. لسوف

- اهدأ يا (ووترهاوس) .. اهدأ ..

ثم حدث في عين (ووترهاوس) .. وقال :

- مت بغيظك .. لقد سمعت كل هذا وأبغى الرحيل ..

عاد الهدوء إلى (ووترهاوس) .. فجلس .. وقال :

- حسن يا (بولوك) .. ليكن .. لا أريد عراقاً ،

لكنني أكره أن أرى خططي تنسف بسبب أشياء كهذه ..

سأذهب معك إلى (سوليمبا) وأطمئن إلى أنك ركبت

السفينة سالماً .

- لست بحاجة لهذا .. أستطيع العودة وحدي ..

- لن تبعد كثيراً .. أنت لاتفهم (البوروه) ..

صاح (بولوك) في مرارة :

- كيف كان لي أن أعرف أن المرأة تخص رجل

(البوروه) ؟

- حسن .. لقد كانت كذلك .. ولم يعد باستطاعتك

إصلاح هذا .. حسن .. اذهب وحده إذن .. أتمنى أن

أعرف ما هم فاعلون بك .. أنت لا تفهم أن قواعد

(البوروه) هي لهذا البلد بمثابة القانون .. الدين ..

الدستور .. الطب ... ومن حسن الحظ أن حاملينا هم

من قبيلة (المنديس) ..

وشرع يفكر .. وكانت أفكاره كلها شتية .. من ثم

تناول البنديقية وغادر المكان وهو يردف :

- لو كنت مكانك لما ابتعدت كثيراً .. سأذهب لأرى

ما أستطيع معرفته بصدده ما حدث .

وفي الخيمة بقى (بولوك) وحيداً يتأمل ، ويعيد

إشعال غليونه :

- لقد خلقت للحياة المتحضرة .. وكلما عدت إلى (لندن)

أو (باريس) أسرع كلما كان هذا أفضل لي ..

وفي ندم غمغم :

- ليتني أصبت ذلك المتسول في مقتل !

بعد هزيمة عاد (ووترهاوس) حاملاً أخباراً سيئة ..

يبدو أن رجل (البيورود) كان عضواً بارزاً في هذا المجتمع الوثني ... بل إنه كان من الأطباء المسحرة ... وكانت القرية كلها مهتمة بمجرى الأحداث ... والجميع يعلم أنه مختف في الغابة ..
- واضح أنه ينتوى شيئاً ما ..

قالها (ووترهاوس) وعاد للصمت .. فسأله (بولوك) بإلحاح :

- وماذا بوسعك أن يفعل ؟

ظل (ووترهاوس) محتفظاً بالغموض ، إلى أن فقد أعصابه وصاح :

- وكيف لي أن أعرف بحق الجحيم ؟.. لقد حاول أن يقتلك في الكوخ .. وقتل .. الآن أحسبه سيجرب شيئاً أكثر فعالية .. ولا أريد بهذا أن أضر أعصابك ..

وفي المساء ، إذ جلسا جوار النار ، حاول (بولوك) ثانية أن ينتزع من (ووترهاوس) تصوره لما ينوى (البيورود) عمله .. فقال هذا :

- من يدرى ؟.. إنهم أناس متقلبون واسعوا الخيال ، ولديهم عديد من الحيل القنرة ..

وهنا التمع وهج .. وصوت انفجار دوى من قلب

الظلثة خلف الأكوخ .. وانطلقت رصاصة تصفر جوار رأس (بولوك) .. [على الأقل كان هذا الأسلوب مأثوفاً] .. وثب السود من حيث جلسوا حول النار ، وأطلق أحدهم النار صوب مصدر الطلقة ..

ودون أن يتحرك (ووترهاوس) صاح في (بولوك) :
- من الأفضل أن تعود إلى الكوخ ..

نهض (بولوك) ملوحاً بمسدسه .. فهو لا يخشى القتال بهذا الأسلوب .. لكن الرجل الذي يستعين بالظلام ، إنما يستعين بأفضل الدروع قاطبة ، ولهذا وجد (بولوك) أنه من الحكمة أن يلجأ إلى الكوخ .. ويختفي فيه .

وقضى الليل في محاولة عسيرة للتسوم ، تقطعها أحلام مزعجة .. خاصة وجه رجل (البيورود) يرمقه في ظلال الكوخ .. وآلام في العظام ..

وفي ضوء الفجر الأبيض - بينما كانوا يعدون القوارب البدائية للرحيل - انطلق سهم ليستقر عند قدمي (بولوك) .. وبالعادة لم يستطع الرجال أن يجدوا راميهِ .

تلقائياً - بعد هذين الحادثين - بدأ الرجال يتجنبون (بولوك) ، وللمرة الأولى في حياته شعر (بولوك)

بالحاجة إلى أن يختلط بالزواج ... لقد وجد نفسه في قارب .. بعيداً عن (ووترهاوس) .. جالساً وحيداً متبوعاً في المقدمة ، والمشكلة الأسوأ كانت إقناع الرجال - الذين لم يحبوه قط - بأن يبقوا القارب في وسط التهر بعيداً عن كلتا الضفتين ..

إلا أنه استطاع أن يقطع (شكسبير) - الرجل الهجين من (فريتاون) - بأن يأتي ليجلس جواره ، ويحدثه عن (البوروه) ... وقد فعل هذا الأخير ذلك في تحرر وترحيب ..

القارب ينساب فوق المياه الفضية .. والأشجار المنحنية على الجانبين .. ونباتات البردى ..

أما (شكسبير) فراح يحكى باتجليزته المشوهة كيف يرمى (البوروه) بلعناتهم .. وكيف يرسلون العفاريت والشياطين .. كيف عذبوا ونهبوا أبناء (إيجييو) .. وكيف خطفوا تاجرأ أبيض أساء إليهم .. وكيف بنت جثته حين وجدها الباحثون ..

راح (بولوك) يسمع في هلع هذه القصص ، وهو يلعن الإرساليات والحكومة البريطانية المتراخية في أحكام نظامها على هذا القطاع المظلم من (سيراليون) .

* * *

في اليوم التالي وصلوا إلى (سوليمنا) ، حيث صار بوسعهم أن ينشقوا أمام البحر ... لكن (بولوك) كان مضطراً إلى قضاء خمسة أيام هنا قبل أن يبحر إلى (فريتاون) ..

ولما كان (ووترهاوس) يشعر باطمئنان نسبي نحو صديقه هنا ، فقد تركه عائداً مع الرجال إلى (جيبما) ، وتعرف (بولوك) على تاجر أبيض - الوحيد الذي وجده في (سوليمنا) - هو يهودى برتغالي يدعى (بيريرا) .. وبحكم الضرورة صار (بولوك) صديقاً حميماً له .. برغم تجليزية البرتغالي الشنيعة .. ومرّ اليومان الأولان بلا مشاكل ..

إلا أنه في المساء تلقى (بولوك) النبأ الرهيب ، أن رجل (البوروه) موجود في (سوليمنا) الآن .. وكانت وسيلة إبلاغه بالنبأ ، هي قذيفة من الحديد مزقت لحم كتفه ، كانت المسافة طويلة ، واستهلكت القذيفة أكثر قوتها في الوصول إليه .. لكن الرسالة كانت واضحة بما يكفي ..

وقال له البرتغالي حين عرف بالأمر :

- (هادا) انتقام .. لقد أصابه الجنون حين عرف أنك

عندئذ فقط تذكر (بولوك) أن هذه الآلام بدأت في
الثيلة التي تلت معركة الكوخ ..
لكن (بيريرا) قال مطمئناً :
- في رأي أنهم لا يبغون قتلك .. أعتقد أنهم يريدون
(إحباطك) بالثعابين وآلام (العضام) (هتسى) تكره
الحياة .. وتتحرر .. بالطبع (هادا هرافات) .. كلام في
كلام .. فلا تقلق ..

* * *

بعد ظهر ذلك اليوم قتل (بولوك) ثعباتين في
خيمته .. ولاحظ زيادة غير معقولة في التمل الأحمر
بالمكان ..

وفي المساء راح يثرثر مع أحد رجال (المندى) ..
الذي عرض عليه خنجرًا صغيرًا ، وراح يشرح له كيف
يضرب به العنق .. حتى أن (بولوك) شعر برجفة ،
إلا أنه - لأسباب معينة - شكر الرجل ووعده ببندقية
ذات ماسورتين مكافأة له ..

وفي كوخ (بيريرا) - حيث جلس الرجلان الأبيضان
يلعبان الورق - جاء (المندى) ، حاملاً شيئاً ما في حقيبة
من القماش الوطني غارقة في الدماء ..

ستفادر البلاد .. لن (يتدهل) أحد الوطنيين في الأمر ،
وعليك أن تصفى الأمر بنفسك .. تم بعد (ذاك) تجيء
مشكلة السحر الأسود .. أنا لا أؤمن به .. (هرافات) ..
لكك - طبعاً - ستظل قلقاً من فكرة أن هناك رجلاً أسود
يرقص حول النار في ضوء القمر ، كل ليلة .. كسى
يرسل اللغات عليك ..

- الأسوأ هو أنني أرى وجهه في كل أحلامي ..
وجهه المقلوب حين نظرت لي من فوق نراعه وكثر عن
أثيابه .. أعرف أن هذا حنم طيلة الوقت ، لكننى
لا أعرف كيف أصبحته .

- أه ! (هادا هرافات) !.. يقول رجالي إن (البيوروه)
قادرون على إرسال الثعابين .. هل رأيت ثعابين في
(سولوما) ؟

- رأيت واحداً هذا الصباح ، وقتلته .. كدت أؤس
عليه حينما صاحت من النوم !

- أه !.. (هادا) صدفة !.. لكن يجب أن تكون حذراً ..
هل تشعر بآلام في (عضامك) ؟

- حتماً !.. ظننتها بسبب داء (الميازما) .

- أه !.. صدفة !.. منذ متى ؟

صاح (بولوك) فى لهفة :

- ليس هنا !

لكنه كان قد تأخر .. لأن الرجل المتحمس فتح
الحقيبة .. ورمى برأس رجل (البوروه) المقطوع
على المساندة ... تدحرج الرأس فوق أوراق اللعب
راسماً خطأ دامياً وراءه .. ثم سقط على الأرض وعيناه
ترمقان (بولوك) فى حدة ...!

وثب (سيريرا) فى فرع .. وراح يسب ويعلن
بالبرتغالية .. فى حين وقف (المندى) ينتظر نصيبه
من الصلقة .. قائلاً :

- (بُدكية) !

أى أنه يريد البندقية التى وعده (بولوك) بها إذا
قتل الرجل ..

ونظر (بولوك) إلى الرأس .. كان يحمل ذات
التعبير الذى كان فى أحلامه ..

استعاد (بيريرا) انجليزيتة أخيراً .. فقال :

- ألم تقتله بنفسك ؟

- لماذا يتبعنى على ذلك ؟

- لكنه لن يستطيع أن (ينتزعه) الآن !

- ينتزع أى شيء ؟

- عليك أن ترسل لى أوراق لعب جديدة من (فريتاون) ..

لقد اتسخت هذه بالدماء .

- ينتزع أى شيء ؟!

- إنها (غرافة ، الذئوج يدغمون ، هادا غرافة) -

أه لو سحرك (البوروه) فعليك أن ترغمه على
(انتزاع) السحر ، أو تقتله بنفسك ..

أطلق (بولوك) سبة من تحت شاربه ، وراح
يحملق فى الرأس .. كان بريق العينين غير محتمل ،
من ثم وجه ركلة إلى الشيء .. فتدحرج يضع ياردات
ثم عاد يستقر فى ذات الوضع المقلوب ، وعيناه تحدقان
فى (بولوك) !..

- (هادا) قبيح .. قبيح جداً - قال البرتغالى - إنهم

يصنعون (هادى) الشقوق فى وجوههم بالسكين ..

- (بُدكية) !

قالتا رجل (المندى) واضعاً يده على كتف (بولوك) ..

فقال (بولوك) فى عصبية :

- لك بُدقيتان لو أنك أخذت هذا الشيء المربع بعيداً

لكن الرجل رفض .. لم يكن يريد سوى بُدقية واحدة

له لغرض عاجل .. فقدم له البرتغالى بُدقية من عنده ،

ورجل الرجل وبقي (بولوك) يرمق هذا الشيء على الأرض .

ضحك (بيريرا) ضحكة عصبية وقال :

- غريب أن رأسه يفضل الوضع المقلوب .. لا بد أن (مَهْه) ثقيل جداً .. مثل (هادي) الدمى التي تعتلد كلما (أرجهتها) ..

نهض (بولوك) وحمل الرأس متثاقلاً قاصداً كوخه . كان ينوي أن يحفر قبراً ويدفنه فيه حالاً ... وكان وثقاً بثقه حمل الرأس من شعره .. لكن لا بد أنه كان مخطئاً .. لأنه حين نظر ليده وجد أنه يحمل الرأس مقلوباً من رقبته !..

دفعه قبل الغروب في البقعة الشمالية من الكوخ ، حتى لا يضطر للمرور بالقبر في الظلام حين يعود من عند (بيريرا) ، وقبل أن ينام كان عليه أن يقتل شعبتين آخرين ..

وفي الظلام صحا على صوت شيء يخدش في الأرضية ..

جلس في الفراش مساكناً .. وتحسّن مسدسه تحت الوسادة .. هو ذا صوت حشرجة .. نهض (بولوك) وأطلق رصاصة باتجاه الصوت ..

وفي اللحظة التالية رأى شيئاً معتماً يعبر الباب المغمور بزرقة باهتة ..

- كلب !

قالها (بولوك) وعاود الرقاد ..

في الفجر صحا شاعراً بعدم الارتياح .. ألم عظامه يزداد .. راح يرمق السقف بعض الوقت ، ثم - إذ تزايد الضوء - استطاع أن يرى ذلك الشيء المعتم الملقى على الأرض .. وثب إلى الأرض ليرى أكثر .. وعذله وجد أنه يحدق في رأس رجل (البوروه) !.. لقد مزقه الكلب تمزيقاً وقتك به النمل ... لكنه ظل بالصدفة في ذات الوضع المقلوب ، وتلك النظرة الشيطانية المقيتة في عينيه ..

كان الرعب يغمره حين غادر الكوخ .. وفي ضوء الفجر المنعش .. وأمام منظر الخضرة التي تتراقص مع التسيم ؛ بدأ الذعر يفارقه تاركاً مكاناً للتعلقل في ذهنه المكثود ..

وحين حكى لـ (بيريرا) ما حدث .. قال له هذا باسمًا :

- ما كان ينبغي أن (تُهيف هادا) الكلب !

طيلة اليومين التاليين - وحتى جاء المركب البخارى -
ظل (بولوك) يحاول الخلاص من الرأس بثستي
السيبل ..

فى البداية ذهب إلى البحر ورماه هناك .. لكن هذا
- بمعجزة ما - نجا من الأسماك والتماسيح ، حيث رماه
المذ على الشاطئ ليجده رجل عربى متقف .. حمله
كشياء طريف إلى (بيريرا) و (بولوك) عارضاً يبعه
لهما .. لكن الرجل وجدهم مذعورين إلى حد لا يوصف ،
حتى أنه بدأ يشعر بالذعر هو الآخر ..

لهذا غادر المكان .. فما إن مر بكوخ (بولوك)
حتى رمى الرأس بداخله .. ليكتشفه (بولوك) فى
الصباح الباكر !

إلى هنا بدأ (بولوك) يدخل فى حالة جنون .. يجب
أن يحرق الشيء .. بنى محرقة صغيرة من خشب
الورد .. وكاد يبدأ حين سمع صفارة القارب البخارى
الذى يقل الناس من (مونروفيا) إلى (باثورست) ..
القارب الذى ينتظره ..

- حمداً لله !

قالها (بولوك) فى خلاص ، عالماً معنى هذا

الصوت .. وبيد مرتجفة أشعل النار فى المحرقة ورمى
الرأس فيها ، ثم انصرف ليقرئ (بيريرا) الوداع ،
ويحزم حقائبه ..

وبعد الظهر راح يرمى شاطئ (سوليميا) يصفر ..
ويصفر .. كأن السماء تطبق على الأرض فى الأفق ..
مقصد عملاق يزيل متاعبه وتكرياته الأليمة ... هو ذا
يفارق الأرض التى يخيم عليها شبح (البوروه) وسحر
(البوروه) -

صاح فى سعادة :

- وداعاً يا (بوروه) ! وداعاً .. وليس إلى النقاء !
جاء قبطان القارب ووقف جواره يرمى الماء ،
وتمنى له ليلة طيبة .. ثم بصق على الأمواج فى
بساطة .. وقال :

- لقد وجدت تحفة جميلة على الشاطئ اليوم .. شيئاً
لم أر أهدأ يقعه فى هذه الأصقاع ..

- وما هو ؟

- رأس مجفف .. مدخن !

- ماذا ؟

- رأس .. رأس واحد من هؤلاء (البوروه) مزخرف

بعلامات الساكنين .. هيه ؟ .. ماذا دهك ؟ .. ما كنت لأحسبك عصبياً إلى هذا الحد .. يا لاخترار وجهك .. بحق السماء أنت بحار رديء ..

رباه !.. لكم تبهلت ملامحك .. حسن .. لقد وضعت هذا الرأس مع بعض الثعابين في الكحول في (مرطبان) بقمرتي ، حيث أحب أن أحفظ هذه الطُرف .. والعجيب أنه يميل لاتخاذ وضع مقلوب .. ولأشفق إن لم يكن هذا صدقاً !

أطلق (بولوك) صرخة صامتة ، ودمن أصابعه في شعره .. ولثانية خطر له أن يرمى بنفسه إلى الماء .. ثم عاد إلى صوابه ..

صاح القبطان في منع :

- (جانك فيليس) !.. أبق هذا الرجل بعيداً عني !.. لا تكن منى يا سيد !.. ماذا دهك ؟.. أتراك مخبولاً ؟ لم ير (بولوك) جدوى من الشرح .. لذا قال وهو يمسك رأسه :

- أعترف أنني فقدت صوابي .. إنه ذلك الصداق المفاجئ .. أرجو أن تغفر لي هذا ..

كان شاحباً يغمره العرق .. لم يرد أن يحسبه القبطان

مخبولاً .. وأراد أن يستعيد ثقة هذا الأخير فراح يجيب عن أسئلته .. ويتبادل معه حديثاً شبه طبيعي .. بل وراح يماثله عن تجارة هذا الأخير في الطُرف والغرائب . راح القبطان يصف له الرأس بالتفصيل .. وشعر (بولوك) بأن القارب صار شفافاً كاللجاج . يمكنه أن يرى من خلاله ذلك الرأس يرمقه من قمرة القبطان .. وهكذا قضى (بولوك) ساعات أسود من ساعاته في (سوليم) .. الكوايبس تطارده في كل ليلة فيصحو متخسباً ، وشبح صرخة مريضة في حلقه ..

ترك الرأس في (باتورست) ، حيث غيّر القارب متجهاً إلى (تينيريف) لكنه لم يترك كوابيسه ولا آلام عظامه .. وفي (تينيريف) حاول أن ينسى .. شرب كثيراً .. لعب الشطرنج .. بل وقرأ الكتب ، لكن الرأس راح يطارده .. كان يعرف أن خياله صار خائفاً له .. ولم يعد ينتمى إليه ، لقد صار البحر الواسع ورفاق السفر كستار يفصله عن العالم الحقيقي .. لكن رأس رجل (البوروه) الشيطاني كان يمزق هذا الستار .. كالشيء الوحيد الحقيقي في هذا العالم ..

وغارقاً في هذا الصراع المحموم مع خياله : وصل (بولوك) إلى (انجلترا) ..

وإذا ركل (بولوك) الشيء ليبيعه عنه ، شعر بشيء
يصدمه بعنف في ظهره .. وألم ساخن يغزو نراعه ..
أخرجوه من بين حوافر الخيل التي كانت تجر الحافلة ،
وقد تهشمت ثلاث من أصابع يده .. نفس الأصابع التي
أطلق عليها رصاصته في كف رجل (البوروه) ..

وليومين لم يدر بأى شيء سوى الرائحة الحلوة
الحادة المميزة لـ (الكلوروفورم) ، وجراحات عدة لم
يشعر بألمها ... والرقاد بلا حراك .. وحين عاوده
الكابوس القديم فقط تذكر أنه لم يره منذ يوم كامل ..

في أول فرصة صارح (بولوك) الطبيب بمشكلة
كان يدرك جيدا أنه سيجن حتما ما لم يحل شيء بينه
وبين ذلك .. لم يذكر التفاصيل الحقيقية .. قال إنه رأى
قطع رأس في (داهومي) ومن لحظتها يطارده الرأس
المقطوع في كل مكان ..

سأله الطبيب في تردد :

- هل كانت تربيته الدينية طيبة في طفولتك ؟

- لا ..

- لا أدري إن كنت قد سمعت عن العلاج الروحي في

(لوردس) ؟

رست السفينة في (ساوثها مبتون) ، واتجه هو
إلى (ووترلو) ليلقى مدير البنك الخاص به .. حيث
عقد معه بعض صفقات العمل في حجرة متعزلة .. لكن
الرأس ظل يتدلى فوق رأسيهما طيلة الوقت ، كأنه
قطعة زينة .. بينما قطرات الدم تتساقط منه فوق حاجز
المدفأة .. لكن المدير بدا كأنه لا يراه ..

قال (بولوك) للمدير :

- هل توصى لي باسم طبيب مختص في الأمراض

العقلية !..

إنني أعاني بعض الـ .. ماذا أقول ؟ .. هلاوس !

وهنا ضحك الرأس في وحشية ..

* * *

حاملًا عنوان الطبيب في جيبه ، اتجه (بولوك) إلى
(كورنهيل) وقرر عبور الشارع ... إن عبور الشارع
- حتى بالنسبة لـ (لندني) متمرس - لأمر عسير ..
طوفان من العربات وعربات الأجرة والحافلات كلها
تتحرك في تيار ثابت لا يتزحزح .. وبالنسبة لرجل قائم
من (سيراليون) يبدو الشارع فوضى من الارتباك
المجنون .. لكن حين ترى رأسًا مقتولًا يتواثب بين
قدميك .. عندئذ لن تبالي بأن تلقى حتفك في حادث ..

قال (بولوك) وهو يرمق الوسادة :

- لا أحسب هذا سيعيننى كثيراً .. للأسف ..

كان الرأس يرمقه الآن مكشراً عن أليافه ، والطبيب يقول :

- كل ما أنت فيه تخيلات .. لقد انهارت أعصابك ..

ولسوف أقدم لك وصفة طبية تقوى جهازك العصبى وخاصة مخك .. كما أقترح أن تسترد عافيتك .. ابحث عن الهواء المنعش فى (اسكتلندا) .. (الترويج) أو (الألب) ..

* * *

حين غادر المستشفى حاول (بولوك) بأمانة أن ينفذ نصائح الطبيب .

كان هذا هو (نوفمبر) فحاول أن يلعب كرة القدم .. لكن اللعبة تحولت إلى ركل رأس مقلوب .. من ثم كان يركله فى هلع ودون تركيز .. حتى حين حاول أن يلعب فى مركز حارس المرمى .. كان يرى الرأس قادمًا نحوه فيصرخ ويفر مذعورًا ..

وبدأ رفاقه يتحاشونه إزاء تصرفاته المثيرة للريبة .. كانت أوهامه تزداد تجسداً .. صار الرأس يثرثر معه .. بل صار له ملمس مادي واضح ..

وفى مرتين على الأقل تبادل الكلام مع الرأس أمام الناس ..

جاء ابن عمه ذات يوم فى (ديسمبر) ليراه .. ويتأمل وجهه الشاحب غائر العينين .. لكن (بولوك) لم ير فى القبعة التى يحملها ابن عمه سوى رأس مقطوع مقلوب يتأمله بإصرار ..

وجاءت النهاية فى صباح (الكريسماس) ..

ظل محمومًا طيلة الليل .. والكوابيس تطارده ..

وفى ضوء الفجر الشاحب البهيم جلس فى الفراش ، ورأى الرأس واقفاً جوار فراشه فى وعاء برونزى كان هناك بالأمس ..

قال ورجفة الشك فى صوته :

- أعرف أن هذا وعاء برونزى ..

غادر الفراش ببطء .. يرتجف .. وسار إلى موضع الوعاء .. الآن سيجد أن خياله قد خدعه حتمًا .. وأخيرًا - بعد قرون من التردد - تلمست أنامله خذى الرأس .. إبه حقيقى !!

سحب يده فى توتر .. هذه هى المرحلة الأخيرة إذن .. حتى حاسة اللمس قد خانتته وانضمت إلى عدوه ..



جزيرة الـ (إيبورنيس)

شق طريقه إلى المائدة .. وتناول موسى من الدرج ،
وعاد ليجلس على الفراش .. وفي المرأة رأى وجهه
شاحباً .. مفعماً بالمرارة اليائسة ..
راح يستعيد تفاصيل قصته في ذهنه .. تفاصيل
حياته الأثمة السابقة ..

كل شيء يعود إلى ذهنه في ضوء الفجر البارد ..
الكوخ .. رجل (البوروه) .. والهلوسة !.. بالتأكد
هي هلوسة !.. للحظة تمسك بالأمل .. رفع عينيه ليجد
الرأس حيث هو يضحك ضحكته الشيطانية !..

تحسس عنقه ببطء باحثاً عن نبض شريان .. كان
الصباح بارداً ولمس نصل الموسى على لحمه كالتلج .
٢٣ مايو ١٨٩٥

* * *

جزيرة الـ (إيبورنيس)

التحى الرجل ذو الوجه الملىء بالتدوب فوق المائدة ..
ونظر إلى الحزمة التى أحملها .. ثم سألتى :

- زهور أوركيد ؟

- قليل منها ..

- أى شىء جديد ؟ .. لا .. لا أحسب هذا .. لقد زرت
هذه الجزر منذ خمسة وعشرين عامًا .. ولئن وجدت
أنت جديدًا فيها فهو جديد تمامًا .. فأنا لم أترك الكثير
لمن يأتون بعدى ..

- أنا لا أجمع الأشياء ..

قال الرجل وهو يحاول تقييماً بنظرة فاحصة :

- كنتُ شابًا آنئذ .. يا لله ! .. لكم جبت العالم ! ..
أضيت عامين غرب (الأديز) .. وسبعة فى (البرازيل) ..
وزرت (مدغشقر) ..

قلت له متوقعًا أنه سيكذب على :

- لقد عرفت مستكشفين كثيرين .. فمن كنت تجمع

له ؟

- (داوسون) .. تراك سمعت الاسم من قبل ؟

بدا لى الاسم مأثوفا بشكل ما .. ثم تذكرت (بوتشر داوسون) ..

- آه !.. إذن فانت الرجل الذى رفع قضية من أجل مرتب أربعة أعوام ، بعدما عاش وحيدا على جزيرة صحراوية !!

اتحنى الرجل بأدب :

- أنا خادمك .. لقد صنعت ثروة فى تلكم الجزيرة دون مجهود يذكر ..

- كيف حدث هذا ؟ أنا لا أنكر القصة جيدا ..

- حسن .. هل سمعت عن الـ (إيبوروتيس) ؟

- كان (أندروز) يحكى لى قصة عن جنس جديد يعكف على دراسته .. تلك المخلوقات لها عظمة فخذا تقارب الياردة .. وحوش .. لا يلد أنها كذلك !..
قال الرجل ذو التندبة :

- أنا أصدقك .. كانت وحوشا بالفعل .. وما رخ (سندباد) إلا تنويغا على قصتها ... ولكن متى وجدوا هذه العظام ؟

- منذ ثلاث أو أربع سنوات .. لماذا تسأل ؟

- لماذا ؟.. لأننى وجدت هذه الوحوش .. كان ذلك

منذ عشرين عاما .. لم أستطع أن أمنع ذلك القارب اللعين من الضياع مع التيار ..

ثم صمت هنيهة .. وأردف :

- أراهن على أنه ذات المكان .. مستنقع على بعد تسعين ميلا شمال (أنتاتا ناريفو) .. هل تعرفه ؟
- لا .. لكن يخيل لى أن (أندروز) قال شيئا عن مستنقع ..

- بالتأكيد هو .. على الساحل الشرقى .. وثمة شيء ما فى مائه يحول بين الجثث وبين التحلل ... هل وجدوا مزيدا من البيض ؟ لقد وجدت بيضا يربو ارتفاعه على قدم ونصف .. يدور المستنقع حول المنطقة .. ومياهه مالحة ... كم من أوقات قضيتها معه !..

لقد ذهبنا - أنا وشابان من الأهالى - فى زورق بدائى بحثا عن عظام .. ووجدناها فى ذات المكان .. ياله من عمل خلاق !.. تقضى الوقت تنقب فى الوحل بقضبان حديدية .. وكثيرا ما يتهشم البيض ... إتنى أتساعل عن الفترة التى انقضت منذ كانت تلك (الإيبوروتيس) تعيش (*) ، لقد كان البيض طازجا !

(*) - (هـ . ج . ويلز) : لم ير أى لوروبسى طيور (الإيبوروتيس) باستثناء (ماتاندرو) الذى زار (مدغشقر) عام ١٧٤٥ . وروايته مشكوك فيها .

صدقنى ! لقد سقطت واحدة من أحد الزوجين فى أثناء نقلها للقارب .. وتهشمت .. الأحمق !.. لكنها كانت طازجة .. حتى راحتها كانت طيبة .. برغم أن الأم قد ساءت منذ أربعين سنة عام .. المهم .. استغرقتنا يوماً كاملاً لاستخراج هذا البيض سالماً .. وكسنا الوحل تماماً ، بعد هذا بفترة ذهبت لأرى البيض الذى لديهم فى متحف التاريخ الطبيعى فى (لندن) .. ووجدت أنه مهشم .. متشقق .. مع أجزاء كثيرة مفقودة ... ، أما بيضى أنا فكان بحالة رائعة .. وشعرت بالغىظ من الأخرق الذى تسبب فى كسر بيضة - بعد ثلاث ساعات من العمل - لمجرد أن عقرباً لدغته .. لقد ضربته مراراً !

ومد الرجل يده إلى غليون من الخزف ، قربت منه كيس التبغ الخاص بى ، فعلاً الغليون منه وذمته شارد .

ثم واصل الرد :

- حصلت على ثلاث بيضات أخرى ، طازجة تماماً .. وعدت إلى الخيمة لأعد بعض القهوة ، تاركاً تابعى الوثنيين على الشاطئ ، ولم يخطر لى قط أن الوغدين سيتحرضان بى .. لا بد أن سم العقرب ، والركل الذى

أوسعته لأحدهما - الذى كسر البيضة - قد ضايقه .. وكان ذا طبيعة نارية .. واستطاع أن يقطع الآخر .. والآن أذكر أنني كنت جالساً أدخن وأغلى الماء ، وأتأمل المستنقع فى إعجاب .. إذ يتموج باللونين الأزرق والأحمر القالى .. ومن بعيد أرى الجبال ، والسماء خلفها حمراء كقم فاغر ..

لم أعرف أن الكافرين قد قرروا أن يرحلوا ويتركاني ، ليس معى سوى زاد ثلاثة أيام وخيمة قماشية .. سمعت جلبة خلفى .. فالتفت لأحدهما فى القارب وقد ابتعدا عشرين ياردة عن الشاطئ ، فهمت ما يحدث على الفور .. ولم يكن فى بندقيتى رصاص .. لكننى كنت أملك مسدساً صغيراً فى جيبى .. فسحبته ..

قال الرجلان شيئاً لى ... فصوبت الرصاص على الرجل السليم لأنه كان يمسك المجداف ، وأطلقت رصاصة أخطأته .. وسمعتها يضحكان .. تماكنت أعصابى وأعدت التصويب .. فلم يضحك هذه المرة .. سقط فى الماء والمجداف معه ..

عدت أصرخ فى الآخر كى يعود .. لكنه أبى ... صوبت المسدس نحوه وأطلقت رصاصة ، لكنه كان قد

ابتعد كثيراً .. دعنى أصارحك بأثنى شعرت بحماقتى ..
ظنلت أنسأى حتى استحآل صوتى صرآخآ ، ولم يعد
أمامى سوى أن أسبج فى الماء ، مجربآ حتى مع سمك
القرش ..

ففتحت مطواتى وأطبقت عليها بأسنآتى ، ولفزت إلى
الماء .. لأجد أننى ثم أجد أرى القارب .. لكنى اتجهت
إلى حيث ظننت أنه موجود - على أمل أن الرجل لا
يحسن الملاحة ، وبالتالي سيبقى فى اتجاه واحد . كانت
التجوم الآن قد بدأت تتلمع عبر الأزرق العظيم .. لكننى
سبحت كالأبطال ..

الآن ساد الظلام الكون ، وبدأت أرى كل أنواع
الأنبياء المتآلفة فى الماء .. حتى أثنى شعرت بدوار ،
وبدأت أعجز عن تمييز : هل أنا أسبج وتعبى لأسفل أم
رأسى .. من بعيد أرى القارب أسود كالخطيئة .. وأنتو
منه .. وأخيراً أتسلى القارب ببطء متوقفاً أن يتحرك
الكافر ويهاجمتى .. لكنه لم يفعل ..

بعد وقت غير قصير ناديت به باسمه فى الظلام .. فلم
يجب .. وكنت منهكآ بحيث لم أستطع أن أمشى له ..
فجلست فى مكاتى ، وأعتقد أن النعاس غلبنى مرة أو

مرتين .. وحين جاء الفجر وجدته ميثآ كعقبض الباب
ومحتكآ .. فى وسط القارب رأيت بيضآتى الثلاث
والبسكويت والقهوة .. وتحت جثة الرجل قنينة كحول
ميثلى .. ولم أجد مجدآفاً ، فجلست فى القارب على
أمل أن يجتنى أحدهم يوماً ما .. وقتلت لنفسى إن شعبآ
أو عقربآ أورد الرجل حتفه ..

كان الأفق خآليآ من أية علامات تدل على الأرض ..
وحين علت الشمس السماء ، راحت تصب حرارتها فوق
يافوخى .. حتى شعرت بمخى يقنى .. وهنا وجدت
جريدة .. نسخة من جريدة (أرجوس) فرقنت على
ظهري وفردتها فوق رأسى .. يا لله ! ما أكثر فوائد
هذه الصحف !.. أنا لم أقرأ صحيفة فى حياتى ، لكنى
قرأت هذه بالذات أكثر من عشرين مرة .

ظللت ضائعآ عشرة أيام .. شيء بسيط حين تحكيه ..
أليس كذلك ؟.. وفى اليوم السادس مرت سفينة على
بعد نصف ميل منى .. وسمعت صوت موسيقا على
سطحها .. وقفت ولوحت وصرخت .. وفى اليوم التالى
قمت بتقشير جزء من بيضة الـ (إبيورونيس) ..
وجربت مذاقها .. لم يكن رديئآ .. له مذاق بيضة البط ..

بها - فى الملح - خيوط من دم متخثر لم أعرف مغزاه
فى ذلك الوقت . المهم أن هذه البيضة كانت كافية لى
ثلاثة أيام مع البسكويت ..

قشرت البيضة الثانية فى اليوم الثامن .. وأثارت
هلعى ..

نعم ...!.. كانت تنمو .. لقد ظلت مدفونة فى الوحل
ثلاثمائة عام ، وبرغم ذلك لم يكن من الممكن أن تسوء
فهم ما تراه .. كان هناك - ماذا تسمونه ؟ - آه ..!
الجنين .. برأسه الضخم ، وظهره المنحنى ، وقلبه
يخفق .. لقد فهمت ..! إننى أقوم بتفريخ بيض أضخم
الطيور قاطبة فى قارب بدائى وسط المحيط الهندى ..!
لو أن (دواسون) العجوز سمع هذه القصة ..!

المهم أننى التهمت البيضة بمحتواها .. كل جزء
منها ..، أما البيضة الثالثة فقد رفعتها للنور مراراً ؛
محاوياً تبين ما يحدث بها .. لكن القشرة كانت سمكية
للفاية .. كان هذا حين وصلت إلى الجزيرة .. وصلتها
فجأة مع شروق الشمس ..

بعد معاناة من التجديف بيدي وصلت إليها .. جزيرة
مساحتها أربعة أميال ، بها أشجار معدودة ، ونبوع

وبحيرة مفتوحة ، تسبح بها أسماك الببغاء .. وضعت
البيضة فوق صخرة ، لتكون فى أمان من الكسر ..
ولتغمرها أشعة الشمس إن كانت لديها نية الفقس ..
ورحت أتفقد الجزيرة .. فوجدتها مملدة ككتاب مواظ ..
لا شيء فيها يمت إلى جزيرة (روبنسون كروزو)
الفاقتة .. وشعرت بأننى سأقضى سائماً ..

لكننى سعيد الحظ .. إذ فى اليوم الأول هبت عاصفة
رعديّة ، وأغرقت السيول الجزيرة ليلاً .. وكما تعلم لم
يحتج الأمر لجهد كبير كى أفقد القارب الذى جنت به ..
كان ذلك ليلاً حين صاحوت على عواء الريح .. وجاءت
موجة عاتية لتأخذ القارب بعيداً عنى .. لكن البيضة
ظلت سالمة ، لأنها كانت فى مكان مرتفع .. يا لله ..!
يالها من نيلة !

عند الفجر هدأت العاصفة وأشرقت الشمس ..
وعندئذ فقسّت البيضة ..! نعم يا سيدى .. فقسّت وأنا
أأخذها وسادة تحت رأسى .. سمعت قرعقة واهتزازاً ،
فرفعت رأسى لأرى الرأس البنى الصغير يرمقنى من
طرفها .. وراح يحاول الخروج من بياض البيضة ،
فصحت به مرحباً ..

كان ولذا لطيفا .. فى حجم نجاجة صغيرة .. مغطى بزغب دقيق ولن أقول ريشا .. بصعوبة أصف لك مدى سرورى بمجينة .. إنها لصحبة رائعة ، نظرت لى ثم رمش بعينه كنجاجة .. وراح يفتش بمنقاره عن طعام .. ناولته بعض سمك الببغاء ، فراح يلتهمه ، ثم فتح منقاره يطلب المزيد ..

كان طائرا ممسليا فرخ الـ (إيبورونيمس) هذا .. يتبعنى فى كل مكان ، ويقف جوارى إذ أصداد فى البحيرة ليشاركنى كل ما أظفر به .. وكان مرهف الحس كذلك ..

مع الوقت نما .. تكاد تراه وهو ينمو لحظة بلحظة .. ولم أكن رجلا اجتماعيا ، لهذا ناسبتنى طباعه الصموت الهادئة .. ومررت أعوام سعيدة علينا فى هذه الجزيرة ، لم أكن أحمل هم العمل ، لأن مرتبى يتراكم كل شهر عند (داوسون) .. فقط أزخراف الجزيرة بالقواقع وأرقب الطائر يكبر .. يكبر .. لقد صار له غرف .. وريش أخضر على مؤخرته .. حتى أننى بدأت أتسائل عما إذا كان لـ (داوسون) حق فى الطائر أم لا .. لقد كنت خليقا بأن أجمع ثروة من عرضه

فقط لو غادرت الجزيرة .. وفى أثناء العواصف كنت أرقد جواره فى الكوخ الذى صنعته .. وأحسى له الأكاذيب .. باختصار .. لو كان هناك طباق للتدخين لصارت هذه الجزيرة جنة حقيقية ..

الآن صار صديقى شامخا يارتفاع أربعة عشر قدما .. له رأس كبير عريض .. وعينان بنيتان لامعتان واسعتان تحيطهما جفون صفراء .. وكانت العينان فى مقدمة الرأس كالإحسان ، لا على جاتبيه ككل الطيور .. وهنا بدأت الجنة تتبدل ..

كان حظى مع الأسماك شحيحا فى تلك الفترة .. ووجدت أن الطائر يلاحقنى بإلحاح وتأمل .. كنت جافعا .. ولهذا حين تجحت أخيرا فى صيد سمكة ؛ إذا باللعين يقتصبها .. وكانت الأعصاب متوترة فى ذلك اليوم على الجائبين .. لذا ناولته لكمة فوق رأسه ليرحل .. وعندئذ هاجمنى أنا ..

وأشار إلى التدبة على وجهه وقال :

- لقد أصابنى بهذه .. ثم ركلتى كأنه حصان جر .. نهضت لأجد أنه لم يفرغ بعد .. فغطيت وجهى بساعدى وعزمت على الفرار .. لكنه لاحقنى بساقيه السريعتين ،

وراح يركلنى ركلات كمطرقة الحديد .. فررت إلى
البحيرة وغصت بها حتى عنقى ..

توقف على الشاطئ - كان يكره أن تبتل قدماءه -
وراح يصدر زمجرة خشنة .. ثم راح يذرع الشاطئ
جيلة وذهايا ... أعترف أنتى شعرت بضالتي وأنا أرى
هذه الحفرية الحية تذرع الشاطئ جيلة وذهايا .. أنفى
وجسدى ينزفان وقد صرت كئى عصيدة من الكدمات ..
بدا لى الموقف مؤسفاً .. أنا الإنسان وريث الأجيال ..
أنا الذى فقتسه وعلمته وأطمته .. أى تكران للجميل
هذا !..

إلا أنتى أملت أنه سيرى الأمور كما أراها فيما بعد ،
ولابد سيشعر بالتندم .. ربما لو قدمت له بعض الأسماك
فإنه سيفعل الشيء المعقول .. احتجت زمناً كى أتعلم
مدى حقد وسواد قلب هذه الطيور المنقرضة ؟
لن أحكى لك عدد الحيل التى ابتكرتها لأسترد صداقة
هذا الطائر .. بل جربت العنف ، رميت كرات من الفحم
عليه من مسافة مأمونة .. لكنه ابتلعها ... حاولت
تجويعه بالكف عن صيد السمك .. لكنه راح يلتقط
الديدان من المياه الضحلة جوار الشاطئ .. ولا داعى

أن أقول لك إنه أجبرنى على قضاء نصف حياتى فى
مياه البحيرة .. والتصف الأخر فوق نخلة شامخة
لا يستطيع الوصول إليها .. حتى غدا الوضع غير
محتمل .. هل جربت فى حياتك النوم فوق نخلة ؟ أنه
مؤلم فضلاً عن أنه مهين .. هذا الطائر اللعين يحكم
جزيرتى ، بينما أنا الإنسان الذى كرمه الله غير
مسموح لى بوضع قدمى على الأرض .. شرعت أسببه
والغنه من فوق النخلة ، فاكثفى بأن فغر منقاره فى
وجهى ..

أخيراً كان من الضرورى أن أقتله .. استعنت حيلة
من حيل أمريكا الجنوبية .. فقامت بربط كل حبال الصيد
عندى لتصنع حبلاً طويلاً طوله اثنتا عشرة ياردة أو
أكثر .. وربطت قطعتين من الفحم إلى طرفيه ..
وأخيراً رفعته فوق رأسى وأدبرته عدة مرات ثم قذفته
عليه .. فالتفت الحبل حول ساقيه ودار عدة مرات ..
وسقط الطائر أرضاً .. لما إن هوى حتى هرعت لأحز
عنقه بمديتى ..

لا أحب أن أستعيد هذه الذكرى .. لقد كان غضبى
متهيباً ، لكنى شعرت بأننى قاتل .. حين وفتت أرمى

دماءه تسيل فوق الرمال البيضاء .. وساقبه الجميلتين
ترتجان بالسكرات الأخيرة ..
يا له من مشهد ..

لقد عادت الوحدة إلى عالمي كلغة .. وجلست أرمق
جنته وأرتجف وأذرف الدمع .. كم كان طائرا لطيفا
حين خرج من البيضة !. والآن لو كنت قد اكتفيت
بجرحه .. لربما أمكنني تمريره حتى يعود لصحته ،
ولهم أفضل .. ليتنى أستطيع حفر هذه الصخور لأدفنه ..
لا أستطيع أكله لأنني شعرت بأنه كائن بشري .. لهذا
وضعت في البحيرة وتركت الأسماك الصغيرة تنظف
هيكله ... وبعد أيام جاء شاب في يخت ليستكشف
جزيرتي ..

كان هذا هو الوقت المناسب تماما ، لأنى كنت قد
سلمت الوحدة .. وأزمت إنهاء حياتي في البحر ..
وحين عدت .. بعث العظام لتاجر يدعى (وينسلو) ..
وباعها هذا لـ (هافرز) العجوز .. وهناك نسيها الرجل
حتى مات فانتشرت الانتباه .. وسماها العنماء
(إيبورونيس) ماذا !؟
قلت له مكملاً الاسم :

- (إيبورونيس فاستس) .. كان هناك طائر طول
فخذه ياردة .. وكانوا يحسونه الأكبر .. لهذا سموه
(إيبورونيس ماكسيماس) .. ثم ظهر طائر أكبر
لسموه (تيتان) .. ثم جاء طائر ... بعدها جاء
طائر أكبر هو (فاستيماس) (*)
ابتمس الرجل نو التدبئة وقال :

- لكن هذا - مهما قلنا - هو شيء غريب في حياة
إنسان .. ألا ترى ذلك معي !؟

رأس السنة - ١٨٩٤

* * *

(*) كلها تكريج لمعنى الضخامة في اللاتينية ..
(فلكسيماس) .. (تيتان) .. (فاستس) .. (فاستيمس) .



الغرفة الحمراء

المغرفة العمراء

- أؤكد لك أن الأمر يحتاج لشبح قوى كى يخيفنى ..

قلتها .. ووقفت أمام النيران وكأسى فى يدى ..

- إته اختيارك الخاص ..

قالها الرجل ذو الذراع اليايسة وراح يرمقنى شزراً .

- لقد عشت ثمانية وعشرين عاماً .. ولم أر فيها

شبحاً ..

راحت العجوز تحقق فى النيران ، وقد اتسعت

عينها .. وقالت :

- حقاً .. لكنك عشت ثمانية وعشرين عاماً .. لم تر

فيها مثيلاً لهذا البيت ، هناك الكثير مما يمكن أن تراه

حين يكون عمرك ثمانية وعشرين عاماً ..

وأرجحت رأسها ببطء من جانب لآخر :

- الكثير مما تراه .. وتندم عليه ..

شعرت أن العجوزين يحاولان بإلحاح المبالغة فى أمر

الأموال الروحية لمنزلهما .. فوضعت كأسى على

المنضدة ورحت أجوب الحجرة ، وأختلس نظرة للمرأة

فى نهاية الحجرة ..

- حسن .. لو أننى رأيت الليلة شيئاً ؛ فلسوف أزداد
حكمة ..

لقد جنت للمهمة بعقل متفتح ..

وهنا سمعت صوت عصا .. وخطوات مثقلة فى
الممر بالخارج .. وأصدر الباب صريراً حين دخل
عجوز آخر .. أكثر اتحناءً وتجعداً ، وأكثر تقدمًا فى
العمر من الأول .. كان يستند إلى عكاز ، وثمة سحابة
على عينيه .. بينما تتدلى شفته السفلى كاشفة عن
أسنان صفراء نخرة .

اتخذ طريقه إلى (شيزلونج) ، وجلس عليه دون
روية وراح يسعل .. لم تبه المرأة ما يدل على أنها
لاحظت قدومه .. وواصلت التحديق فى النار ..

قال الرجل الأول حين توقف السعال :

- قلت إن هذا اختيارك الخاص ..

- هو كذلك .

هنا لاحظ الرجل الثانى وجودى للمرة الأولى .. فمال
برأسه جانباً ليرأى أفضل .. نظرت لعينيه الصغيرتين
اللامعتين ، الملتهبتين للحظة .. على حين عاد الرجل
الأول يقول له :

- ألا تشرب ؟

وأزاح نحوه زجاجة البيرة .. فصب هذا لنفسه كوباً
بيد مرتجفة أسقطت كثيراً فوق المائدة .. ثمّة ظل
علاقى له على الحائط إذ ينحنى ويصب ويشرب .. ،
يجب أن أعترف بأننى لم أتوقع وجود هؤلاء الحراس
الغريبين .. ثمّة شيء فى ذهنى يجد فى الشيفوخة
نوعاً من فقدان الأدمية .. إن الصفات البشرية تتساقط
من الشيوخ يوماً بعد يوم دون أن يشعروا .. هؤلاء
الحراس الثلاثة يشعروننى بعدم الارتياح بصمتهم ..
واتحناء ظهورهم .. وانعدام مودتهم تجاهى وتجاه
بعضهم البعض ..

قلت لهم :

- لو أنكم أريتمونى تلك الغرفة المسكونة ؛ فلسوف

أستريح ..

نظر لى العجوز ذو المسحابة على عينيه لحظة

واحدة .. لكن أحداً لم يجبنى بشيء ..

أعدت الكلام بصوت أعلى :

- لو أريتمونى الحجرة المسكونة فلسوف أريحكم من

عناء تسليتى ..

قال الرجل الأول وهو ينظر لقدمى :

- ثمّة شمعة على مصراع الباب .. لكن إذا كنت ستدخل

الغرفة الحمراء الليلة

[تدخلت العجوز قاتلة : هذه الليلة دون غيرها من ليال !]

- فيجب أن تذهب وحدك .

- حسن .. وأى طريق أسلك ؟

- تمشى عبر هذا العمر حتى تبلغ بابنا .. ثم درجًا حلزونياً .. ثم بابنا آخر .. ادخله .. وسوف تجد الغرفة على يسارك ..

قال الرجل ذو السحابة على عينيه :

- هل حقاً أنت ذاهب ؟

[قالت العجوز : هذه الليلة دون غيرها من ليال !]

قلت له :

- هذا ما جئت لأجله ..

واتجهت إلى الباب .. وإذا فعلت هذا دار الرجل ذو السحابة حول المتضدة ليدنو من النار أكثر .. وحوول النار التفتوا يرمقوننى بعيونهم الغابرة .. ومن جديد قال أولهم :

- إنه اختياريك الخاص ..

تركت الباب موارباً حتى أضأت الشمعة ، ثم مشيت عبر العمر البارد الذي يردد أصداء خطواتي ..

لا بد هنا من الاعتراف بأن نفسى تأثرت ، برغم

محاولتى للاحتفاظ بمنطقى .. تأثرت بهؤلاء الشيوخ الثلاثة الذين تركت لهم (الليدى) صاحبة القلعة أملاكها .. تأثرت بالأثاث العتيق .. وغرفة الحراس التى تجمعوا فيها ..

كان كل هذا يمت لعهد سحيق .. عهد كانت فيه الساحرات والتعاويذ أسوراً قابلة للتصديق .. وكانت الأتساح حقاً لا مرأى فيه .. حتى بدا لى الحراس الشيوخ كأنهم أطيفاف متلاشية تسكن هذا العالم ، لكنهما لا تشارك فيه ..

كان العمر مغبراً .. وراح لهب شمعتى يتأرجح ، والظلال على الحائط تهتز .. ورأيت ظلاً يصعد السلم نحوى ، وآخر يطير من فوقى ليذوب فى الظلام ..

توقفت لحظة أصيخ السمع ، ثم - وقد استرحت للصمت المطبق - فتحت الباب أمامى .. ووقفت فى الردهة ..

كان ضياء القمر القسام من شبك ضخم على الممشى ، يغلف كل شيء بضوئه الفضى .. وكل شيء فى موضعه ، كأنما المكان مهجور بالأمس ، لا من ثمانية عشر شهراً ..

كانت هناك شموع .. والغبار الذى تراكم على المسجدة ، أو على البلاط ، لم يكن مرئياً فى ضوء

القمر ، لأنه قد تم توزيعه بالتساوي ... كدت أخطو ..
ثم تجمعت ..

بدا لي أن هناك من يقف عند ركن الحائط ، وكأنما
ينتظرني ليقطع على الطريق .. فتحسست الغدارة في
جيبى وتقدمت .. لأجد تمثالاً لنسر وفتاة من البرونز
يلتمع في ضوء القمر ..

أعاد لي هذا الحادث جرائى .. فلم أعبأ كثيراً بتمثال
من (البورسلين) اهتز رأسه قليلاً عندما مررت به ..
حركت شمعتى لأرى جوانب مدخل الغرفة الحمراء ..
لايد أنهم وجدوا منقى ها هنا .. أصابنى توجس مفاجئ
حين تذكرت هذا .. فتحت باب الغرفة فى تردد .. بينما
أنير وجهى لأرملق التصمت الشاب خارجها ..

دخلت .. وأوصدت الباب ورانى ، وأدبرت المفتاح فى
القفل .. ثم وقلت حاملاً الشمعة أرملق مسرح سهرتى ..
الغرفة الحمراء العظمى فى قلعة (لوريان) .. حيث
مات الدوق الشاب ..

أو - بالأحرى - حيث بدأ موته .. لأنه فتح الباب ..
وتدحرج فوق الدرجات التى ارتقيتها من قسورى ..
وكانت تلك نهاية سهرته .. نهاية محاولته المجيدة
لفهر تقاليد المكان الشبهجية ... غير عالم أنه سيخدم
الإيمان بالخرافات إلى أقصى حد ممكن .

شمة قصص أكثر قدماً حول هذه الغرفة ..
مثل الزوجة الجبائنة التى حاول زوجها أن يداعبها ،
والنهاية المأساوية التى تلت محاولته إفراغها ..
رحت أرملق الغرفة بجوانبها المظلمة ، ومضاجعها ..
وأدركت جيداً كيف ولدت الأساطير من هذه الظلمة ..
لقد كانت شمعتى قبساً واهياً من نور فى هذا
الديجور الممتد .. عاجزاً عن الوصول إلى الركن البعيد ..
تاركاً محيطاً من الغموض والتساؤلات وراء جزيرة
الضوء هذه ...

أزمعت أن أتفحص المكان فوراً .. وأستبعد الخيالات
قبل أن تتمكن منى .. ورحت أذرع المكان - بعد ما
أوصدت الباب بإحكام .. متفقداً كل قطعة أثاث ..
ومزياً كل ستارة لأرى ما وراءها ..

هل إنتى تأكدت من أن التوالف موصدة .. واتخيت
لأتأمل سواد المدفأة من الداخل .. وضربت على كل
الألواح الخشبية لأتيقن من الأفتحات سرية هناك ..
كانت هناك مرأتان ، على جانبي كل واحدة شمعتان ..
وعلى المنضدة كانت هناك شموع أكثر ..

أضأت كل هذه ... وكانت الأخشاب مدهة فى المدفأة ..
وهى عناية غير متوقفة من حارس البيت .. أشعلتها

لأننى شعورى بالفشعيرية ، ثم أدت ظهري لها لأعيد
تأمل الحجرة ..

جذبت منضدة و (شيزلونج) ووضعتهما أمامى كنوع
من المتاريس ، وعلى هذه المنضدة وضعت غدارتى ..
لقد أقادنى تفقدى الحجرة .. إلا أن الركن المظلم
القصى من المكان .. بذلك التصمت التام والسكون المخيم
عليه ؛ لم يزل يثير خيالاتى ..

لم أجد الراحة فى صوت قرعقة التنيران بالمدفأة ..
وذلك الظل عند طرف المضجع بالذات له تلك
الخاصية التى لا يمكن التعبير عنها .. خاصة الحضور ..
الإيحاء الغامض بشيء حى ، الذى يولد بسهولة فى
التظلم والوحدة ..

فى النهاية - لأظلمن نفسى - حملت الشمعة فى يدي ،
وسرت إلى هناك لأتأكد من عدم وجود شيء ملموس ..
الآن أنا فى حالة لا بأس بها من التوتر العصبى ، برغم
أنه لا يوجد سبب كاف لذلك .. إلا أن مخى صاف تمامًا
وقادر على التفكير .. قلت لتفسى دون تحفظ إنه لن
يحدث شيء خارق للطبيعة .. ورحت أغنى بعض
الأحان لترجية الوقت ..

لكن الصدى ثم يكن ساراً على الإطلاق . ولنفس
السبب تخليت عن مناقشة بينى وبين نفسى عن
استحالة وجود الألباح ..

كان اللونان الأسود والأحمر يسيطران على الغرفة ..
وضابقتى هذا لأنها - مع كل تلك الشموع - ظلت
مظلمة تقريباً ..

وهنا تذكرت تلك الشموع التى رأيتها فى الممر ..
ففتحت الباب وخرجت من الغرفة .. وفى ضوء القمر
عدت بعشر شموع ..

وبدأت أوزعها فى أرجاء الحجرة فى أوعية صينية
صغيرة كانت موجودة فى الغرفة بكثرة ، بعض الشموع
وضعتها على الأرض .. وبعضها على الطاولة .. حتى
- فى النهاية - لم يعد هناك موضع فى الغرفة إلا وقد
سقط عليه ضوء ساطع ..

وخطر لى أنه لو جاء الشبح فعلى أن أنزله حتى
لا يتعثر فى إحدى هذه الشموع ..

ثمة شيء مبهج ومطمئن للغاية فى هذه الشموع ..
إلا أن توقعى لنسهرة الطويلة ظل جاثماً فوقى ..

كان ذلك عند منتصف الليل : حين تطلق شمعة
المضجع فجاء .. وزحف الظل الأسود إلى مكانه عندها .

لم أرها تتطفئ .. فقط أدت رأسى لأجد الظلام
هناك .. كأنما ترفع عينيك لترى غريبا لم تتوقع وجوده
جوارك ..

صحت عاليا :

- بحق الله !.. يا لها من نسمة قوية !

ومتأولا الثقاب من فوق المتضدة : مشيت عبر

الغرفة متراخيا لأعيد إشعال الشمعة ..

لم يشتعل العود الأول .. واشتعل الثاني ، وفجأة

شعرت أن شينا يومض على الحائط أمامي ، فنظرت

لأجد الشمعتين على المتضدة الصغيرة جوار المدفأة وقد

انطفأتا ...

وثبتت على قدمي هاتفيا :

- عجيب !.. تراني فعلت ذلك شارد الذهن !!

وتراجعت إلى الوراء وأعدت إشعال واحدة ، فبينما

أفعل ذلك إذا بشمعة على جانب المرأة تتألق ثم

تخبو .. وعلى الفور نحتت بها الشمعة التي على الجانب

الأخر .

لا خطأ هناك .. لقد خبا الذهب كأن الفتيل قد انضغط

ما بين أصبع وإبهام .. تاركا الفتيل لا يدخن ولا يحمر ..

فقط أسود ..

وهنا تلاتت الشمعة عند قدم الفراش .. وخطا الظل
خطوة أخرى نحوى !..

- هذا لن يصلح !..

عندئذ تلاتت الشمعة فوق التسريحة ..

صحت بصوت مبوح :

- ماذا هناك ؟

وهنا خبت الشمعة فوق خزانة الثياب .. وتلتها

أخرى .. تلك التي أعدت إشعالها عند المضجع ..

- اهدأ بالآ .. هذه الشموع هامة لى ..

قلت ذلك بصوت نصف هستيري ، وأنا أضرب رأس

العود بعنية الثقاب .. ويداي ترتجفان .. فما إن أشعلت

شمعة التسريحة حتى خبت شمعتان في طرف النافذة

انقصى .

أشعلت شمعتي المرأة وشمعة الأرض بعود الثقاب

ذاته .. وللحظة خيل إلى أنني هزمت الانطفاء ..

ولكن - فجأة - خبت أربعة أضواء في أركان مختلفة

من الحجر .. فأشعلت عود ثقاب آخر في لهفة ..

وهنا شعرت بأن يدا خفية قد مرت على شمعتين فوق

المتضدة ، أطلقت صرخة رعب وشرعت أعيد أشعالهما .

ثمة طريقة أفضل .. وضعت الثقاب على المنضدة ،
وأمسكت بحامل شموع .. هكذا أتلافى ببطء اشتعال الثقاب.
لكن الانطفاء استمر .. وراحت الأشباج تلاحقتني ..
وتكسب أرضا جديدة في كل مرة .. الظلال ...
بدأ لي المشهد كقمامة تمر أمام النجوم .. فجأة يبدو
نورها وفجأة يختفي ..
الآن أشعر بالهلع من فكرة الظلام القادم .. وقد فقدت
كل قدرة على التماسك ..

أجرى من شمعة لأخرى في صراع معدوم الجدوى ..
أصبحت بكمة في فخذي من اصطدامي بالمنضدة ..
سقطت .. وأسقطت غطاء المائدة في سقطتي ..
انطفأت الشمعة التي أحملها من أثر حركتي السريعة ..
ثم انطفأت آخر شمعتين في الغرفة ! ..
لكن الغرفة لم تظلم تماما .. ثمة ضوء أحمر أت من
موضع ما .. المدفأة !

بالتأكيد .. ما زال بوسعي أن أشعل الشمعة من
المدفأة ..

ذهب إلي المدفأة حيث اللهب يتراقص بين كتل
الفحم .. وهنا تلاشى اللهب دون إبطاء .. وشعرت

بالظلمة تطبق على كاتغلاق جفنين .. وانفتحت حولي في
عناق محكم .. مطبقة على بصري .. مهشمة آخر بقايا
التعقل في رأسي ..

سقطت الشمعة من يدي .. مدت ذراعي أمامي
محاولا - بلا جدوى - أن أبعد هذا السواد عنى .. رفعت
صوتي .. صرخت بكل قواي مرة .. مرتين .. ثلاثا ..
أذكر أنني فكرت وقتها في الردة التي يغيرها ضوء
القمر .. حنيت رأسي وركضت إلى الباب .. عازما على
الفرار دون إبطاء ..

لكني نسيت موقع الباب .. واصطدمت بركن الفرائش ..
تراجعت مترنحا .. انقلبت .. اصطدمت بقطعة أثاث ..
أذكر بشكل ضبابي ركضتي في الظلام .. صراعي
المحموم .. صراخي الوحشي .. ضربة قوية على
جبهتي ، وشعور مريع بالسقوط دام قرونا .. محاولتي
المجنونة لأقف على قدمي من جديد ..
بعد هذا لا أذكر شيئا ..

* * *

فتحت عيني في ضوء النهار .. رأسي ملفوف
بالضمادات ، بينما الرجل ذو الذراع المتيبس يرمق

وجهى .. نظرت حولي لأتذكر ما حدث .. لكننى لم أستطع ذلك ..

نظرت إلى ركن الحجرة فرأيت العجوز ، تصب بعض قطرات الدواء من قارورة زرقاء صغيرة .. سألتها :

- أين أنا ؟ .. إننى أتذكركم ، لكنى لا أتذكر من أنتم ..
حكوا لى كل شيء :

- وجدناك عند الفجر والدم يكسو شفطيك وجبهتك ..
بدأت أسترجع ذاكرتى ببطء .. وعاد العجوز يقول :

- تراك آمنت الآن أن الغرفة مسكونة ؟

- نعم .. الغرفة مسكونة

- ورأيت ذلك .. بينما نحن من عشناها طيلة حياتنا

لم نره قط .. لأننا لم نجسر قط .. قبل لى .. هل هو

(الإيرل) العجوز الذى

- لا .. ليس هو ..

قالت العجوز والكأس بيدها :

- قلت لك .. إنها تلك الكونتيسة البالسة التى أخافها

زو

قلت أنا :

- ليس هى .. لا يوجد شبح (إيرل) ولا (كونتيسة)

فى الغرفة الحمراء .. لا شبح هناك على الإطلاق ..
لكن ما هو أسوأ .. أسوأ بكثير ...

- إذن ؟

- إنه أسوأ الأشياء التى تسكن البشر القاتين .. ألا

وهو الخوف .. !

الخوف الذى لا ضوء له ولا صوت ولا يخضع

للعقل .. الخوف .. !

الذى يصم ويعمي ويسحق .. لقد تبغنى عبر الممر ..

وحاربته فى الغرفة . وعدت إلى الصمت . وتحسنت

بدي ضماداتى ..

عندئذ قال الرجل الواقف فى الظل بعد ما تنهد :

- نعم .. عرفت أنه كذلك .. قوة الظلام .. إنه يجول

هناك أبدا ..

وتشعر به حتى فى ضوء النهار وحتى فى صباح

الصيف المشرق .. يختفى وراء الستائر والأبواب ..

ويمشى خلفك أينما وجهك وجهك ..

يتبعك عبر الدهاليز فلا تجرؤ على الالتفات ..

الخوف .. الخوف الأسود فى حجرتها .. وسوف يبقى

بها ما بقى هذا البيت المفعم بالآثام ..

مارس ١٨٩٦



حقیقہ
(بایگرافت)

حقيقة (بايكرافت)

يجلس على مسافة أقل من اثنتي عشرة ياردة مني ..
لو نظرت من فوق كنتفى لرأيتة ، ولو التفتت عيني بعينه
- وهذا يحدث دائما - يلتقي بتعبير ما
إنها أساسا نظرة متوجسة .. لكن الريبة فيها برغم
ذلك ..

سحقا لريبته هذه !.. لو أردت أن أفتى سره لفعلت
من زمن .. أنا لن أفعل ذلك ، والمفترض أن يشعر
بالراحة .. كأن شيئا بهذه البدانة والضخامة يمكن أن
يشعر بالراحة .. ثم من يصدقنى لو تكلمت ؟
مسكين يا (بايكرافت) ! كتنة هلامية عملاقة .. أكثر
رواد الأندية بدانة فى (لندن) ..

يجلس جوار النار على مائدة صغيرة يلوك شيئا .. ماذا
يلوك ؟ إنه يقضم من كعكة مليئة بالزبد ، وعيناه على ..
سحقا له !.. ليكن يا (بايكرافت) .. مادمت ستكون
وضيعا .. مادمت ستصرف وكأنتى رجل غير شريف ..
حسن .. هأنذا أكتب القصة كلها تحت عينيك .. حقيقة
(بايكرافت) .

الرجل الذى عاونتته .. الرجل الذى داريته .. الرجل
الذى جعل جلسة النادى غير محتملة بالحاحه على
(لا تقل) كلما نظر إلى ..

ثم - إلى جانب هذا - لماذا يصر على التهام الطعام
للأبد ؟

ها هي ذى الحقيقة .. كل الحقيقة .. ولا شيء غير
الحقيقية !

عرفت (بانكرافت) فى قاعة التدخين هذه .. كنت
عضوا صغير السن عصبياً .. وجاعنى إذ جلست وحدى ..
كتلة متدرجة هائلة من كرشه ولغده .. جلس جوارى
على مقعد ونهث قليلا ثم أشعل سيجارا وبدأ يتكلم ..

لا أنكر ما قاله بالضبط .. شيئا عن أعواد الثقاب
التي لا تشتعل جيدا .. ثم راح يثرثر .. ومن حين لآخر
يستوقف النادل ليقول له شيئا عن أعواد الثقاب بصوته
الرفيع المنغم ...

ثم إنه بدأ يتحدث عن الألعاب الرياضية .. فقال لى :
- لايد أنك تجيد (الكريكيت) ..

أعرف أنتنى نحيل .. بل أنا أقرب إلى الهزال
الشديد .. دعك من أنتنى أسمر .. لا أخجل من أن لى

جدة هندية ، لكنى لا أرحب بأن ينظر الغرباء إلى
وجهى فيروها ..

لكنه كان يتحدث عنى ليصل إلى نفسه ..
قال لى :

- أعتقد أنك لا تمارس الرياضة أكثر منى .. ولا تأكل
أقل (ككل مفرطى البداية كان يحسب أنه لا يأكل) ..

ثم ابتسم .. وأردف :

- برغم هذا .. نحن مختلفان

ثم راح يتكلم عن بدائته .. كل ما فعل من أجل
بدائته .. وكل ما سيفعله من أجل بدائته .. ما نصحه به
الناس من أجل بدائته .. وما سمع أن الناس يفعلون
من أجل بدائتهم ..

كان حديثا مملأ .. وشعرت بأننى أتفخ لسماعه ..
ويوما بعد يوم لم أعد أطيق المزيد .. راح يطارئنى
فى إلحاح .. ما إن يراتنى فى النادى .. كأنه يعرف
ويثق بأننى (أستطيع) وكان هناك فرصة أمثلها له
ولا يتيحها سوى ..

إلى أن جاء اليوم الذى طرق فيه الموضوع :
- إن علم الصيدلة الغربى ليس هو الكلمة الأخيرة
فى الطب .. يقال إن الشرق

قلت لنفسى : ليكن .. دعه يجرب بنفسه !.. يجب أن
أعترف هنا بأننى كنت أشك فى هذه الصفات تماماً من
ناحية الأمن

لكننى فى تلك الأمسية أخرجت من خزائنى ذلك
الصندوق الخشبي غريب الرائحة ، وقتحته .. كان يحوى
وصفات جدتى ..

لا بد أن من كتب هذه الصفات لجدتى كان مولعاً
باستعمال الجلود المختلفة .. وخطه كان رديناً إلى
أقصى درجة . عجزت عن قراءة بعض الأجزاء برغم
أن أسرتى ظلت ملمة باللغة الهندوستانية من جيل لجيل ..
أخيراً وجدت الوصفة التى كنت أبحث عنها ، فجلست
على الأرض أطلعها ..

وفى اليوم التالى قلت لـ (بايكرافت) :

- انظر هنا !

واتترعت القصاصة من قبضته الملهوفة .. وأردفت :

- على قدر فهمى .. هذه وصفة لفقدان الوزن (وهنا

تأوه (بايكرافت)) .. لكنى لست وثقا من ذلك .. وإذا

أخذت بنصيحتى : دعها وشاتها ..

- دعنى أجربها ..

ويتر كلماته ونظر لى ..
فأصابنى الغضب منه ، وقد عرفت أن حدسى كان
صادقاً :

- قل لى .. من حدثك عن وصفات جدتى ؟!

غمغم فى حرج :

- حسن !

- فى كل مرة التقينا فيها طيلة الأسبوع ، شعرت أنك

تلمح إلى سرى هذا ..

- حسن !..

لقد اتكشف الأمر .. هو كذلك .. عرفت المر من

- من (باتيسون) ؟

- بشكل غير مباشر .. نعم .

قلت وأنا أعرف أنه يكذب :

- لقد تناول (باتيسون) المادة على مسؤوليته الخاصة .

وأضفت :

- وصفات جدتى هذه هى أشياء غامضة .. وقد كان

لبنى ينتزع منى وعداً بالأأحدث عنها ..

الآن صار (بايكرافت) عليماً بأن لى سرّاً .. وأنه

يستطيع التعمد .. وكنت أنا قد سلمته تماماً حتى أنسى

ناولته قطعة الجند طالبا وعدا منه بأن يكف عن الكلام عن بدائنه المعقزة مهما كانت النتائج .. فنظر لها في دهشة .. ثم هتف :

- لكنها .. لكنها

فقد أدرك أنها لم تكتب بالإنجليزية ..

- سأحاول ترجمتها لك ..

وحاولت جهدي .. وبعدها لم يتبادل الحديث لمدة أسبوعين .. وكلما دنا منى ليتكلم قطبت في وجهه وأشير له بالابتعاد ...

في نهاية الأسبوعين جاءني بدينا كما كان .. ليقول لي :

- يجب أن أتكلم .. هذا ليس عدلا .. إن الوصفة لم تجد نفعا ..

- أين الوصفة ؟

فأخرجها من بين طيات كتابه .. وجريت بعيني بين سطورها :

- هل كانت البيضة فاسدة ؟

- لا .. هل كان هذا ضروريا لنجاح الوصفة !؟

هذه هي طريقة جدتي العزيزة في كتابة الوصفات ..

إن لم تحدد الطريقة فعليك افتراض الأسوأ .. كانت إما بالتره في عملها .. أولا تلفعه أبدا .. هل حصلت على سم حبة الجرس طازجا ؟

- أحضر لي (جامراتش) واحدة .. إنها باهظة الثمن ..

- تلك مشكلتك أنت ..

ومر شهر على هذا ، ظلت أثنائه أرى (بايكرافت) في النادي .. بدينا .. قلقا .. كما كان دوما .. وظل صامتا محافظا على عهده إلى أن انفجر قائلا :

- إن جنتك هذه

- ولا كلمة في حقها !

فلئنك قد قنط من المحاولة .. إلى أن وجدت - على غير توقع - برقية تصلني ذات يوم ..

- مستر (فورمالين) !

قائلها بالبع الجرائد الصغير .. وناولني البرقية ، ففتحتها فوراً ..

بحق السماء تعال فوراً - (بايكرافت) ..

همم !.. لكى أكون صادقا أقول إننى سررت بأن وصفات جدتى قد عادت إلى مجدها القديم .. ولهذا رحبت ألتهم غدائى بشبهة ..

بحثت عن عنوان (بايكرافت) لدى ساقى القاعة ،
وعرفت أنه يقطن الجزء العلوى من منزل فى
(بلومسبرى) .. لهذا ذهبت هناك بمجرد أن فرغت من
قهوتى .. فلم انتظر حتى أفرغ من تدخين السيجار ..
وعلى الباب الخارجى صحت :
- مستر (بايكرافت) ؟

كان الجيرة يعتقدون أنه مريض .. فهو لم يفارق
حجرته منذ يومين .. دعونى للصعود .. فصعدت ..
وقرعت جرس الباب .. فرأيت امرأة ذات وجه مذعور
تهرع إلى قبل أن يفتح الباب ..
قالت لى :

- طلب أن تسمح لك بالدخول لو جئت .
ثم أضافت فى ثقة :

- إنه حبيس بالداخل يا سيد !
- حبيس ؟

- منذ صباح أمس حبس نفسه .. ولم يدع أحدا
يدخل .. ولم يكف عن السباب لحظة !!
- ماذا جرى ؟

- لا يكف عن الأكل .. طلب كثيرا من الحلوى .. والسجق

والبودنج .. والخبز .. لم يكف لحظة .. شىء مربع !
وهنا صدرت جلبة من داخل الحجره :
- أهذا (فورمالين) ؟
قرعت الباب وصحت :
- أهذا أنت يا (بايكرافت) ؟
- قل لها أن تتصرف !
وفعلت كما قال ..

شعرت بصوت غريب وراء الباب كأنما هناك من
يتحسس بحثا عن المقبض فى الظلام .. وسمعت لهاته .
ثم سمعت المفتاح يدور فى الباب .. وصوت
(بايكرافت) يدعونى للدخول .. فأدريت المقبض وفتحت
الباب .. وبالتطبع توقعت أن أرى (بايكرافت) .. لم
يكن هناك !

غرفة الجلوس فى حالة فوضى مروعة .. أطباق
مبعثرة بين الكتب وأدوات الكتابة .. ومقاعد مقنونة ..
لكن أين هو ؟

- حسن أيها العجوز .. أغلق الباب ..

سمعتها .. وعندئذ عرفت أين هو ..

كان هناك .. فوق الباب .. كأنما هناك من ظلاه

بالصعق وألصقه هناك .. وجهه ملء بالرعب والغضب ..
وكان يلهث ..

- أغلق الباب .. فلو أن المرأة رأته شيئاً

قلت له :

- لو أنك سقطت لهشمت عنقك يا (بايكرافت) ..
- لبت هذا يحدث ..

- أرجل في منك ووزنك يمارس هذه البهلوانيات
الصبيانية ؟

- سأخبرك بالأمر ..

وهنا أدركت فجأة أنه لا يمكس بشيء .. أدركت أنه
يطفو هناك كمئاته حيوان ملأى بالغاز ..!

كان يبذل مجهوداً محموماً لئيبعد عن السقف ،
وينزل على الحائط إلى .. وراح يلهث ويقول :

- إنها تلك الوصفة .. جنتك الـ ...

وأمسك - دون حذر - بإطار لوحة معلقة وهو يتكلم ..
فأفلتت من يده ، وعاد يطير إلى السقف .. على حين

هوت الصورة متهشمة على الأرض ..

حاول من جديد بحذر حتى بدأ يهبط نحو رف المنقاة .
كان مشهداً غير عادي .. هذا الرجل الضخم الجان

المحتقن مقلوب رأساً على عقب ، ويحاول النزول إلى
الأرض ..

- كانت وصفتك ناجحة حقاً !

- كيف ؟

- فقدان الوزن .. حرفياً !

وهنا قهمت ما حدث ..

- بحق السماء يا (بايكرافت) .. كنت تبحث عن
علاج للسمنة ، لكنك كنت تسميها (وزناً) ..

وشعرت بسرور بالغ .. بل شعرت بأنني بدأت أحب
(بايكرافت) ..

فقلت له :

- دعني أساعدك ..

وجنيت ذراعه .. فراح يركل بقدميه محاولاً أن
يلمس بهما شيئاً ما ، حتى شعرت كأنما أحمل علماً في

يوم عاصف ..

قال لي مشيراً :

- هذه المنضدة .. هي من خشب (الماهوچنى)
الثقيل .. لو أنك استطعت أن تحترقني تحتها ..

وفعلت .. فقبع تحت المنضدة كبالون أسير .. في
حين وقلت على السجادة وتحدثت معه مشعلاً سيجاراً :

- قل لي .. ماذا حدث ؟ ..

- أخذتها !

- وكيف كان مذاقها ؟

- أوه ! .. شنيع ..

كان يجب أن أخمن أن جميعها شنيع .. سواء نظرنا إلى المكونات أو النتائج .. كل وصفات جدتي تبدو لي غير مشجعة ..

شربت جرعة أولاً فشعرت بعد ساعة أنني أخف .. من ثم شربت الوعاء كله .. أغلقت أنفي وشربت .. وشعرت بأنني أصير أقل .. أقل وزناً ..

ثم صاح بالفعال :

- ماذا عساي فاعل بحق السماء ؟

- ثمة شيء واحد مؤكد ولا يجب أن تفعله .. لو غادرت هذا المينى .. سترتفع لأعلى وأعلى إلى مالا نهاية ..

- ربما يزول مفعول الوصفة بعد قليل ؟

هزّت رأسي :

- لا تعتمد على ذلك ..

وهنا ركل الكرسي ولكم الأرض .. تصرف كما يفعل

أي رجل بدين يحترم نفسه حين يمر بظروف عسيرة .. أعنى أنه تصرف بفظاظة .. راح يتكلم عنى وعن جدتي بتحقير شديد ، فقلت :

- أنا لم أطلب منك أن تأخذ الوصفة ..

ومتناسياً إهاناته بكرم نفسي ، جلست على المقعد ، ورحت أكلمه بلطف وحنان ... قلت له إنه هو من جنب هذه الكارثة لنفسه .. وإلنى أجد فيها نوعاً من العدالة الشعرية ..

- والآن .. ارتكبت خطيئة عدم الدقة .. ولم تسم

(الدهن) باسمه بل سميته (وزناً) ..

ثم اقترحت عليه أن يكيف نفسه حسب الوضع الجديد ، ولن يكون عسيراً عليه أن يمضى على السقف باستخدام يديه ..

- لا أستطيع النوم ..

لكن هذه ليست مشكلة .. من الممكن أن يدخل تحت (ناموسية) يثبتها إلى ما تحتها بشرائط لاصقة ، ويثبت الملاءة والبطانية بأزرار .. يجب عليه أن يثق بمديرة المنزل .. فوافق بعد جدل .. (بعد هذا كان من الطريف أن نجد أن المرأة تعاملت مع الأمر بواقعية جميلة) ..

الفرحت عليه كذلك أن يضع سلم مكتبه في غرفته ..
حيث توضع كل وجباته فوق المكتبة .. لتكون في
متناول يده ..

أما عن النزول للأرض فكان الحل العبقري هو أن
يمسك بعض أجزاء من دائرة المعارف البريطانية
(الطبعة العاشرة) .. من ثم يهبط إلى أسفل بسلاسة
مطلقة ..

كنت متحمسا للأمر .. لهذا أخبرت مديرة المنزل
بالأمر بنفسى وأعدت فراشه المقلوب ..

بالواقع قضيت يومين كاملين في شقة الرجل .. فأتنا
أجيد الأشغال المنزلية ، لهذا فعلت كل الاختراعات
العبقرية الممكنة .. جعلت مفاتيح النور الكهربى تفتح
لأعلى بدلاً من أسفل .. أطلت له سلم الجرس .. الخ ..
كنت سعيداً بفكرة أن (بايكرافت) قد صار نهاية
عملقة تزحف على السقف ، ومن غرفة لأخرى ..
وأته لن يعود للنادى أبداً ..

لكن عبقريتى - كما تعلمون - انتصرت على
كنت جالساً عنده جوار المدفأة .. بينما كان هو يثبت
سجادة تركية في السقف حين خطرت لى الفكرة :

- بحق السماء !.. كل هذا ليس ضرورياً
يا (بايكرافت) !

وشرحت له فكرتى قبل أن أفكر لى تبعاتها :

- كل ما عليك هو ارتداء ثياب داخلية من الرصاص !
وأردفت :

- اشتر رصاصاً واصنع منه أقراصاً .. وثبتت هذه
الأقراص فوق ثيابك الداخلية .. ارتد حذاءً مبطناً
بالرصاص .. احمل حقيبة مملأ بالرصاص .. وسوف
ينتهى الأمر !.. لن تكون سجيناً بعد اليوم ..
وخطرت لى فكرة أكثر جاذبية :

- لن تحتاج أبداً لأن تخاف من غرق السفن .. لو
حدث هذا لك فكل ما عليك هو انتزاع ثيابك الداخلية ..
بعضها أو كلها .. عندئذ تحلق إلى عنان السماء ..
فى غمرة حماسته ألقى المطرقة على مقربة من
رأسى .. وهتف :

- يا للسعادة !.. يمكننى أن أعود إلى النادى !
احتبس الهواء فى حلقى .. وقلت بصوت خافت :

- نعم .. يمكنك ذلك ..

وفعل ذلك



وما زال يقعله ...

يجلس خلفي الآن يمضغ - طيلة حياتي! - قطعة ثالثة
من الكعك بالزبد ، ولا أحد في العالم كله - ما عداي
- يعرف أنه لا يؤن بالفعل شيئاً .. إنه كتلة معلة من
المادة معدومة الكتلة .. مجرد سحابة ترتدى الثياب ..
أكثر الرجال تفاهة ...

هناك يجلس يرقبني حتى أفرغ من كتابتي .. بعدها
سيأتي إلى .. سيخبرني بالقصة كلها من جديد .. وما
يشعر به .. وما لا يشعر به .. ودائماً في وسط هذا
الخطاب الوافر ، يقول لي :

- (السر في بير) ؟؟ أليس كذلك ؟؟ لو عرف أحد
بالأمر لجنلني العار .. إنه ليعا ويشين المرء - كما تعلم
- أن يزحف على السقف .. وكل هذه الأمور ..
والآن حان وقت التملص من (ياكرافت) ، الذي
يحتل - كدأبه - موضعاً استراتيجياً بين الباب وبينى .

أبريل ١٩٠٣

* * *

إمبراطورية النمل

حين تلقى القبطان (جبريلو) تعليماته بأن يأخذ قارب المدفعية الخاص به ، ويتجه إلى (باداما) على ذراع (باتيمو) من نهر (جواراماديفا) ، ليمساعد السكان هناك في مكافحة وباء النمل ... حين تلقى هذه التعليمات شك في أن السلطات تسخر

منه ..

كانت ترقياته استثنائية ، معتمدة على نفوذ سيدة برازيلية مرموقة وقعت في غرام عينيه الساحرتين ، وقد كثرت التعليقات غير المهذبة من حوله .. وأحسن أنه مقبل على المزيد من المشاكل ..

كان مفهومه للإتيكيت والنظام مفهوماً برتغالياً صميماً .. ولم يفتح قلبه إلا لـ (هولرويد) المهندس الإنجليزي الذي يعمل على القارب ، وعلى سبيل التدريب على الإنجليزية لدى القبطان ، خاصة أنه لم يستطع قط إجابة نطق حرفي (الزاي) و (الذال) (*) .

(*) كل أمريكا الجنوبية تتحدث الأسبانية ، عدا (البرازيل) فتتحدث البرتغالية .

قال للمهندس :

- واضح انهم يحاولون تسفيهي .. ماذا يوسع الإنسان أن يفعل مع النمل ؟؟ إنها تجيء .. وتذهب .

قال (هولرويد) :

- يقال إن هذه لا تذهب .. هذا الشاب الذي تسميه (سامبو) .

- (دامبو) .. إنه نوع من الدم الخليط ..

- هذا الشاب يقول إن الناس يرحلون ..

دخن القبطان غليونه في تملل .. وقال :

- هذه الأشياء تحدث دائما .. كان هناك وباء من

التمل الذي يحمل أوراق الشجر في (ترينداد) ..

(نصف) ثمار الماتجو .. (ومادا) في (ذلك) .. أحيانا

يهاجم التمل (مندك) .. نمل محارب !.. عندئذ تترك

(المندل) لهم (ليتضفوه) .. ثم تعود لمندك لتجد كل

شئ (نضيفا) .. لا صراصير .. لا فئران .. لا براغيث ..

- يقول هذا الشاب (السامبو) إن هذا النمل مختلف .

هز القبطان كتفيه .. وواصل التدخين .

بعد قليل تساعل :

- (عديدي) (أولرويد) .. (مادا) عساي فاعلا

مع هذا التمل الشيطاني ؟

وعند الظهر ارتدى ثيابه كاملة ، ونزل إلى الشاطئ ...

ثم جاءت صناديق عدة إلى ظهر القارب .. ومعها عاء هو ...

كادت ستة أيام قد مرت عليهم في نهر (الأمازون) ..

على بعد مئات الأميال من المحيط .. ماء النهر يجري

طيلة الوقت مليئا بالقاذورات والتماسيح والطيور

الحائمة .. ويصب فيه معين لا ينضب من جذوع

الأشجار ..

وقى المساء جلس (هولرويد) يرقب مدينة

(ألمكوير) بكنيستها العتيقة .. وبيوتها .. كأنها شئ

صغير ضائع في وحشية الطبيعة .. كأنها قطعة عملة

في الصحراء ..

كان شاباً حديث السن .. وتلك أول مرة يرى فيها

المنطقة الاستوائية .. لقد جاء من (انجلترا) حيث تم

إخضاع الطبيعة لظهر الحضارة ؛ ليكتشف هنا فجأة

وهن الإنسان ..

لمدة ستة أيام ظلوا يبحرون في النهر .. حيث

الإنسان نادر كفراشة غريبة .. ربما رأيت قاربا يدانها

اليوم .. ثم محطة بعيدة بعد يومين ، إن الإنسان لحيوان

نادر لا يملك أية سيطرة على عالمه .. ولا تكاد تراه في
هذه الأصقاع .

بعد يومين نزل إلى (باتيمو) مع قائده .. كان الأول
عائداً على تعلم الأسبابية .. لكنه ما زال في مرحلة
الفعل المضارع وإلغاء الضمائر .. ولم يكن هناك من
يتكلم بعض الإنجليزية إلا بحار زنجى .. وكان
يستخدمها بطريقة خاطئة تماماً ..

كان هناك رجل برتغالي يدعى (داكونا) يتحدث
الفرنسية .. لكنها فرنسية مختلفة عن تلك التي تعلمها
(هولرويد) في (ساوث بورت) ، ولذا اقتصرنا
محادثتهما على التحيات وحديث الطقس ..

وكل شيء في هذا العالم لم يكن الطقس مرحباً ببشر
البشر .. كان حاراً في النهار ، حاراً في الليل .. وحتى
الرياح الحارة تحمل راحة النباتات المتحللة ..
والتماسيح .. والطيور .. والنهب .. والنمل .. والخنافس ..
والشعابين ..

وبدت القروء كأنما تتساعل عن سبب مجيء الإنسان
إلى هذا المناخ ، الذي لا تحمل شمسه بهجة .. ولا يحمل
ظلامه ترطيباً ..

ارتداء ثيابك لا يطاق .. بينما انتزاعها معناه أن
تمنح البعوض هدية لا تعوض ..

البقاء في جوف القارب يعنى الاختناق .. بينما
الصعود إلى ظهره يعنى أن يعميك الوهج الشمسى ..
وللأسف غدا القبطان - الذي كان سلوى (هولرويد)
الوحيد - مثيراً للسأم إلى حد لا يوصف ، كلما حكى
غرامياته .. سلسلة لا تنتهى من النماء كحيات الخرز
في عقد .

أحياناً كانا يغادران القارب ليحضرا حفلات صاخبة ،
ويرقصا مع فتيات (الكريولى) اللواتي وجدن في لغة
(هولرويد) الأسبابية - الخالية من الضمائر والفعل
العاضى - ما يكفى لأغراضهن ..

كانت هذه لحظات عابرة في رحلة القارب المضنية ..
لكن (جيريلو) بدأ يتعلم أكثر فأكثر عن التمل خلال
هذه الرحلة ..

وقال لصديقه بلهجة المهشمة :

- هو نوع جديد من التمل .. لابد لنا أن نكون - ماذا
تسمونه ؟ - علماء حشرات .. خمس سنكيماترات في
الطول ..! يا للسخف ..! لكنه يأكل البلد كلها ..
وقرر على ركبته وأضاف :

- أوتنك القوم فى المرقص .. لقد هربوا من هناك ..
فقدوا كل ما يملكون .. التمل (دار) بيوتهم بعد
(الضهر) .. الكل جرى .. لو بقيت لأكلك التمل أتري ؟
حاول أحدهم أن يعود لداره ليرى هل رحل التمل .. لكن
التمل كان (ينتصره) !
- هل هاجمه ؟

- عضنه .. خرج من داره يصرخ ويركض إلى النهر ..
أتري ؟ وفى المساء يموت .. كأنما لدغه ثعبان !
- هل تعنى أن التمل كان ساماً ؟
هز القبطان كتفيه :

- من يدري ؟ .. حين دخلت الخدمة دخلتها لأحارب
رجالاً .. لا هذه الأشياء .. هذا التمل .. يأتى ويذهب ..
هذا ليس عملى ..

وفى الأيام التالية بدأ (هولرويد) - الذى تحسنت
لغته نوعاً - يسمع هذه اللفظة أكثر فأكثر : (سويبا)
.. وعرف أنها تحكم هذا العالم .. إذن فهذه اللفظة
تعنى التمل ..

لقد بدأ التوتر يغزو النفوس ..

كف القبطان عن حكاياته المملة ، أما الملازم البرتغالى

فراح يحكى لـ (هولرويد) عن التمل .. عن الشغالات
التواتى يعملن ويحاربن .. والملكة التى تحكم .. وعن
المحاربات التواتى يصعدن إلى العنق ليجرحن
ويدمين ..

حكى له كيف يقطع التمل أوراق الشجر .. وكيف رأى
أعضائها له فى (كاراكاس) بينغ اتساعها مائة ياردة ..
ثم دارت مناقشة حامية بين الرجال الثلاثة حول
ما إذا كانت للتمل عينان .. قرر (هولرويد) - بعد
يومين - أن يحسبها بالنزول إلى الساحل ليصطاد نملة ..
وعاد بأنواع كثيرة من التمل بعضها له عينان
واضحتان وبعضها بدونها ..

عندئذ راحت المناقشة تدور حول : هل التمل يلدغ أم
بعض ؟

قال القبطان :
- هذا التمل له عينان كبيرتان .. إنه (يدحف)
إلى الأركان ليراقب ما تفعله ..
- وهل يلدغ ؟
- نعم .. ولدغته سامة ..
ثم أضاف متأملاً :

- (هذا) التمثل .. إنه يأتي (ويذهب) .. ماذا في
وسع الإنسان عمله ؟

* * *

عند (تاماندو) يمتد ساحل طويل على ثمانين ميلاً .
رسا قارب المدفعية (بنيامين كونستانت) في ظل
الأشجار .. وعلى ظهره جلس القبطان و (هولرويد)
يدخان .. ويستمتعان بالهواء الرطيب الذي يشعران به
للمرة الأولى منذ أيام ..

كان مخ (جيريولو) مليئاً بالتمثل .. لذا تعدد فوق
سطح القارب ..

وكان آخر ما قاله في رأس هو :

- (ماذا) أفعل مع التمثل ؟ .. (هذا) سخف !

بقى (هولرويد) يحك معصميه .. ويتأمل ..

نقل عينيه إلى ضفة النهر .. حيث الغابة بغموضها
تديرها من حين لآخر ذبابة مضيئة .. ويدوى في جوحها
صوت نشاطات غامضة تجرى بها ..

كان يعرف أن السماء خالية من البشر .. مساحة
شاسعة من الخواء .. ويعرف أن المحيط هائل غير
قابل للترويض ؛ لكنه في (انجلتر) تعلم أن البرّ هو

ملك خاص للإنسان .. حتى في أطلس الجغرافيا كان
يرى البرّ ملوناً كأنما يؤكد حق الإنسان فيه .. على
التقيض من لون البحر الأزرق المستقل الممتد ...
وكان يؤمن وقتها أن يد الإنسان ستمتد بالزراعة
والمحاريث والضوء الكهربائي والطرق والترم ، إلى
كل بقعة في هذه الأرض ..

لكنه الآن يشك في هذا ..

هذه الغابة بلا نهاية .. ومن المؤكد أنها لا تقهر ..

وليس الإنسان سوى متطفل أحمق عليها ..

إنها من حق الزواحف والطيور والحشرات التي
تعيش فيها كأنما في دارها .. بينما الإنسان عليه أن
يقاوم الأشجار المتشابكة والوحوش .. ويقع فريسة
للثعابين والضواري والحمى .. ثمة أماكن يدعونها
(كاسا) ليس من حق الإنسان أن يدخلها أبداً ..

والسادة الحقيقيون هنا هم (الجوما) و (الجاجوار) .
لقد استطاع الإنسان - عبر آلاف السنين - أن يعبر
من البربرية إلى التحضر ، حتى شعر أنه سيد الأرض ..
لكن ما الذي منع التمثل من الشيء ذاته ؟ .. إن التمثل
يملك لغة ونكاء .. فلماذا يتوقف عند عصور البربرية
إذا كان الإنسان لم يتوقف !؟ ..

كأنت الغابة باردة .. وحول المصباح المعلق كانت
حشرة ما تلتز باستممرار .. وتحرك القبطان في الظلام
وتنهذ :

- (مادا) بوسعى أن أفعل ؟

وعاد إلى النوم .. فخرج (هولرويد) من دوامة
تأملاته ..

* * *

في الصباح التالي عرف (هولرويد) أنهم على بعد
أربعين ميلا من (بادامسا) ، وازداد اهتمامه بصفة
النهر ..

كلما سئحت فرصة كان يغادر المكان ليتفقد
الموجودات .. لم ير علامة تشير إلى وجود بشر سوى
القبة الخضراء لدير (موجو) المهجور .. الذي سكنت
الزواحف العملاقة فيه ..

وفي السماء حلقت أسراب من فراشات صفراء
غامضة لها أجنحة شفافة ..

وعند الظهر وجدوا السفينة (كوبرتا) ..

لم تبق في البداية كسفينة .. كانت أشرعتها تتدلى
مرتخية في صمت الظهيرة .. وثمة شبح رجل جالس
جوار الدفة ..

وكان هناك رجل آخر نائما على عرق خشبي في
منتصف القارب .. نائما على وجهه ، لكن كان واضحا
من الطريقة التي تسبح بها الـ (كوبرتا) حتى كادت
تصطدم بهم ، أن شيئا ما ليس على ما يرام ..

مسح (جيريلو) سطحها بمنظار الميدان .. وازداد
اهتماما بالظلام الذي يكسو وجه الرجل الجالس .. رجل
أحمر الوجه وبدون أنف .. منحن أكثر منه جالسا ..
كلما نظر إليه القبطان أكثر كلما أراد ألا يراه .. وكلما
عجز عن إبعاد المنظار عنه ..

نهض ليحيى (كيوبرتا) .. حياها مرتين .. لكنها
مرت به مبتعدة .. فما إن صارت بجوارهم حتى تهاوى
جسد الرجل المنحني .. كأنما تخلت عنه مفاصله فجأة .
سقطت قبعته عنه .. ولم يكن وجهه من الأشياء
التي تسر الناظرين ..

أطلق القبطان سبة .. وصاح في (هولرويد) :

- هل رأيت (هدا) ؟

- ميت !.. أرى أن ترسل من يصعد للسطح .. ثمة
شيء ما خطأ ..

- هل .. هل رأيت وجهه ؟

- كيف يبدو ؟

- كان .. يع .. لا أجد كلمات ..

ثم أدار ظهره وراح يصدر تعليمات صارمة للرجال .
وعلى الفور تم إنزال مركب صغير به الملازم
(داكونا) وثلاثة ملاحين .. وتحرك المركب قاصداً
الـ (كويرتا) ، ليصعد الرجال إلى سطحها ..

واستطاع (هولرويد) من مكانه أن يدرك أن طاقم
السفينة لم يكن سوى هذين الرجلين .. لم ير وجهيهما
لكنه رأى أيديهما الممدودة بما عليها من لحم متآكل ..
كأنما خضع لعملية تحلل غير مألوفة ، وحين نطق
البصر أكثر .. رأى أن هناك بقعا سوداء متحركة في
منتصف القارب ...!

كلها تتحرك في اتجاهات متعددة عن الرجلين ..
كأنها - لمعت الخاطرة في ذهنه - جماهير تنصرف بعد
مشاهدة مصارعة الثيران ..

- كابو (*) - نادى القبطان - هلاقت بتوجيه منظارك
إلى هذا الصاري ؟

(*) كلبن بالبرتغالية .

ناولوه (جيري لو) المنظار .. وغمغم بشيء ما ..

بعد هنيهة من الفحص صاح الإنجليزي :

- إنه النمل ! ..

وأعاد المنظار لقطاته .. وهنا ظهر رأس الملازم
(داكونا) على جانب السفينة .. فصاح القبطان به :

- اصعد إلى ظهرها !

قال الملازم إنه لا يستطيع .. لأن المكان مليء بالنمل .
- إن حذاءك ذو رقبة ..

حاول الملازم تغيير الموضوع .. فتساءل :

- كيف هك هذان ؟

انطلق القبطان يزارر بسباب برتغالي معقد جداً ..
ودار الشجار بين الرجلين ، في حين تناول (هولرويد)
المنظار وعاد تأمل النمل .. لقد وصفه لي بدقة شديدة
قيماً بعد ..

قال إنه كان كبيراً جداً .. أسود اللون .. ويتحرك
بتصميم يختلف عن الهرج الألى للنمل العادي .. وكان
بعضه يقف على قدميه الخلفيتين كأنما تعلم الاستفادة
من قسميه الأماميتين ..

وضع المنظار بحدة .. وقد تبين أن موضوع النظام
بين القبطان وجنديه قد صار حرجاً .

هتف القبطان :

- هذا واجبك .. يجب أن تصعد ..

وبدا أن الملازم على شفا العصيان الصريح ..

قال (هولرويد) بالإنجليزية :

- أعتقد أن هذين الرجلين قتلتهما التمل ..

لكن القبطان لم يرد .. وواصل الصراخ في ضابطه

المذعور :

- أمرك أن تصعد .. ولو لم تفعل سأعتبره تمرداً ..

تمرداً وجنباً ..! سأضعك في الأصفاة .. وسيطلق عليك

الرصاصة ككلب ..

كان يسب ويلعن ويضرب الهواء بقبضته ، بينما

الملازم يرمقه شاحباً صامتاً .. وأفراد الطاقم ينظرون

لهما ذاهلين ..

وفجأة .. اتخذ الملازم قراره .. وصعد إلى سطح

(كوبرتا) ..

- آه !

وماد الصمت .. على حين رأى (هولرويد) التمل

يتراجع مبتعداً عن حدالي (داكونا) .. اتجه البرتغالي

نحو الرجل الممعد على وجهه ..

وبتردد قلبه على ظهره ..

اتدفع سرب من التمل من جسد الرجل .. فتراجع

(داكونا) للوراء .. وركل الأرض مرة أو اثنتين ..

رأى (هولرويد) التمل حول قدمي الملازم ، يقوم

بما لم ير نملاً يقوم به من قبل .. كان ينظر إلى الدخيل !

كان حشداً من الناس يرمق عملاقاً يقف بينهم ..

- ماذا عندك ؟

صاح القبطان في ملازمه .. فمشى هذا بضع خطوات

ثم راح يقسر ما يراه بالبرتغالية .. ثم توقف وركل

شيئاً بقدمه .. ثم هرع إلى جانب المركب .. توقف ..

عاد يمشى نحو الرجل الآخر .. أصدر آهة عالية .. ثم

مشى نحو القمرة ..

عاد يتحدث مع قبطاته .. كلا الرجلين مهذب متمالك

نفسه بعد كل الصراخ والإهانات السابقة .. ولم يفهم

(هولرويد) سوى أشلاء من الحوار ..

استعمل منظار الميدان ليقاها بأن التمل قد رحل عن

أجزاء السطح ، نظر نحو الظلال تحت السطح .. وخطر

له أنها ملأى بعيون تراقبه ..

وتقرر أن يقوم الرجال بربط الـ (كوبرتا) لجزءها

خلف (بنيامين) .. فقد كانت تعج بالنمل بحيث يصعب
أن يقودها أحد ..

وبمنظاره المقرب بدأ يشعر بأن هناك نشاطاً أكثر من
اللازم يجرى فوق الـ (كوبرتا) ..

كان هناك نمل عملاق - طول الواحدة بوصتان -
يتحرك من نقطة مظلمة إلى أخرى .. بعضه كان
يتداری تحت ثياب الموتى .. وبعضه يتحشد في شكل
سرب على جانب القارب ، الذي سيمشي عليه (داكونا)
حتماً ..

لم ير النمل ينقض على الملازم .. لكنه لم يشك في
أنه فعل ذلك ..

فجأة إذا بالملازم يصرخ .. ويلعن .. ويضرب قدميه .
- لقد لدغت !

قالتها وهو ينظر نظرة مقت واتهام نحو (جيريلو) .
ثم سقط من على الجانب .. نيسقط في قاربه .. ثم
يتدحرج إلى الماء حتى سمع (هولرويد) صوت
ارتطامه به ..

جذبه الرجال الثلاثة إلى ظهر القارب ..
وفي نفس الليلة قضى نحبه ...

* * *

خرج (هولرويد) والقبطان من القمرة التي رقد بها
الجسد المنتفخ للملازم ، ووقفاً عند مؤخرة السفينة
يرمقان المركب التي تجرها سفينتهم ..

كانت أمسية حالكسة السواد .. وبدت الـ (كوبرتا)
مثلثاً مظلماً يتأرجح في الماء .. ويهتر شراعها ...

كان عقل (جيريلو) يفكر في الأشياء غير الطبيعية
التي قالها الملازم في مكرات الموت .. في أثناء الحمى
الأخيرة التي أصابته ..

- يقول إتسى قتلته .. هذا سخف .. كان لا بد أن
يصعد أحد إلى (ضهر) السفينة .. إلى متى سنفر من

هذه (التملات) اللعينة كلما رأيناها ؟

لم يقل (هولرويد) شيئاً ..

كان يفكر في هجوم منظم لأشياء سوداء .. فوق
سطح سفينة تغمره الشمس ..

- كان (هذا) هو مكانه .. مات وهو يؤدي واجبه ..

فعم يشكو ؟

لقد جن المسكين .. لم يعد بكامل عقله .. لقد تغخه

السم .. هم !

وعاد الصمت الطويل ..

- سنحرق (هذا) القارب .. ونفرقه ..
- ويعدا ؟

ضايق التساؤل القبطان .. فرفع كتفيه .. ولوح
بذراعيه :

- (ماذا) يفعل للمرء غير (هذا) ؟! (ماذا) بوسعي
أن أفعل ؟

كان الغضب قد بدأ بغزو صوته .. وأردف :

- على كل حال .. سأحرق كل تلمة في هذه السفينة ..
سأحرقها حية !

ثم يرة (هولرويد) .. كان يصغى لصوت القروود
على الشاطئ ..

واستعاد القبطان نشاطه وحماسه .. وأزمع أن يحرق
الـ (كوبرتا) دون إبطاء .. وعلى الفور تم قطع الحبل
الذي يجرها .. وسكبوا (الكيروسين) عليها ..
وسرعان ما راحت السفينة تتوهج وتفرقع في الليل
الاستوائى غير المتناهى .. وبدأت الأشجار فى صورة
(سيلويت) خلف اللهب المتعالى ..

ثم يستطع (هولرويد) أن يحب هذا المشهد ..

لكن ماذا كان بوسع القبطان أن يعمل ؟..

أزداد هذا السؤال قوة فى الغد .. حين وصل القارب

إلى (باداما) .. كان المكان - فى حر الصباح - خالياً من
أية علامة على بشر أحياء ، بمنزله المسقوفة ..
ومعصرة القصب التى سكنتها الزواحف ..
قال (جيريلو) :

- لقد رحل القوم جميعاً .. لكننا سنفعل شيئاً ..
سنصدر جلبة !

بعد هذا غرق القبطان فى أسوأ نوبات التشكك ..
وقال للإنجليزى :

- ثمة شيء واحد يمكن عمله .. سنصدر جلبة !
وتم تنفيذ أوامره حرفياً ..

بعدها راح القبطان يمشى على ظهر القارب ، وهو
يشير بيديه .. بدأ وكان هناك ما يشغل عقله .. وفئات
كلمات على شفطيه .. واستطاع (هولرويد) أن يميز
شيئاً ما عن الذخيرة وسط كلامه ..

ثم عاد القبطان إلى الإنجليزية :

- وا أيديى (أولرويد) .. ماذا عسائ فاعلاً ؟

استقلاً قارباً صغيراً وأخذاً معهما منظر الميدان ..
واقتربا من المكان ..

كانت هناك أسراب كبيرة ثبتت على وضع واحد كأنما

ترقبهم ..

حاول (جيريلىو) أن يطلق بعض طلقات دون جدوى .
وسار الرجلان فوق رصيف الميناء .. فوجداه هيكلاً
بشرياً مدثراً بثياب حول خصره .. وقد بدت عظامه
نظيفة لامعة ..

سأه الصمت هنيهة .. ثم قال (جيريلىو) فجأة :

- يجب أن أضع حياة كل هؤلاء فى اعتبارى ..
وأردف .. وقد فهم (هولرويد) أن القبطان يتحدث
عن الخليط غير المسالغ من الأجناس الذين يشكلون
طاقم القارب :

- لو أرسلت حملة للبر .. فهذا مستحيل .. كلهم
يتسممون .. ينتفخون .. يسبوننى .. ثم يموتون ..
مستحيل .. لو رسونا (لسائل) البر وحدى مرتكبياً
(حذاء) (دا) رقبة .. لا أرى .

وعادوا يجذفان ويرمقان الهيكل الأبيض التنظيف من
زوايا عدة .. ثم عادوا إلى القارب .. وراح المحرك
البخارى يهدر .. وعند الغروب عاد ليرسو ..

لقد صار تردد (جيريلىو) مروغاً ..

كان السماء رطيباً ونام الجميع على السطح ..

وعند الفجر أيقظ القبطان (هولرويد) .. فصاح هذا

فى رعب :

- رباه !.. ماذا حدث ؟

- لقد قررت ..

جنس (هولرويد) وتساءل :

- ماذا ؟.. أن تنزل البر ؟

- كلاً .. لقد قررت ! ولا رجعة فى قرارى ..

قاتلها القبطان فى تحفظ .. وراح يرددها .. فلم يطق

(هولرويد) صبراً .. وسأله عما ينتويه ..

- سأطلق المدفع الكبير !!

ولقد فعل هذا ..!..!..!

اللّه وحده يعلم ما جال بفكر النمل وقتها .. لكن

الرجل أطلق المدفع مرتين فى احتفالية عظيمة ..

وأصاب الطاقم الطنين فى آذانهم ، لكن كان هناك جو

عام من الإحساس بأنهم يفعلون شيئاً شبيهاً ما ...

هدمت القذائف معصرة القصب أولاً .. ثم هدمت

المتجر المهجور وراءها ..

بعد هذا صاح القبطان وقد أدرك سخط فكرته :

- (هذا) لا يصلح .. (هذا) لا يصلح .. يجب أن

تعود أراجنا من أجل التعليمات .. سيوبخوننى كثيراً

على (هذه) (الدخيرة) .. كثيراً .. أنت لا تعرف

(هذا) يا (أولرويد) .

وراح يرمى التون بحيرة لا نهاية لها ..

وفى المساء هبطت مجموعة إلى البر ، لتواري جسد
العلازم التراب فى بقعة لم يجدها النمل بعد

* * *

منذ ثلاثة أسابيع لا أكثر ، سمعت هذه القصة مجزأة
من قم (هولرويد) ذاته ..

كان النمل قد صعد إلى مخه .. وعاد الرجل إلى
(اتجلترا) بفكرة (إشارة لمنع الناس) قبل (فوات
الأوان) ..

قال إن النمل يهدد (غينيا البريطانية) ، وإته على
مكتب المستعمرات أن يتحرك سريعاً ..

- هذا النمل ذكى .. فقط فكروا فى معنى هذا !

بالفعل هذا النمل خطر .. ولقد أعلنت الحكومة
البرازيلية عن خمسة آلاف جنيه مكافأة لمن يجد طريقة
فعالة لاستئصاله .. لقد أحرز النمل انتصارات مروعة ..

لقد احتل كل الشاطئ الجنوبى لنهر (باتيمو) على
امتداد ستين ميلاً .. وفر الناس من هناك ، واحتل النمل
المزروعات وهاجم قاربين على الأقل .. ويقال إته
وصل إلى ذراع (كابورانا) وكاد يبلغ (الأمازون) .

ومن المؤكد أن هذا النمل يتمتع بتنظيم اجتماعى
متميز .. وخطره الأساسى يكمن فى استعماله للسم ضد
خصومه الأكبر .. ويبدو أن هذا السم يماثل سم
الثعابين .. وأن الأفراد الأكبر حجماً يحملون بالنورات
هذا السم على ظهورهم ..

وللأسف لم يتمكن مراقب لهذا النمل من أن ينجو بعد
المقابلة ، إلا فى حالات نادرة محالة (هولرويد) .

وتشير هذه القصص خيالنا نحن الشماليين .. لأننا لم
نعقد شيئاً مثل ما حدث فى (ريودى جاتيرو) عام
١٨٤١ : حين شق النمل نفقاً عرضه كعرض نهر
(التيمز) ..

إن عمل النمل حتى الآن يتلخص فى قتل أو طرد نمل
بشرى فى نطاق سكنه .. ويؤمن (هولرويد) أن النمل
سيطرد الإنسان من كل أمريكا الجنوبية الاستوائية ..

وفى عام ١٩١١ - أو نحو ذلك - إذا استمر بهذا
المعدل .. سيصل إلى طريق (كابورانا) الحديدى .. وفى
عام ١٩٢٠ سيصل إلى (الأمازون) .. وأعتقد أنه
سيكتشف (أوربا) عام ١٩٥٠ أو ١٩٦٠ على الأكثر .

ديسمبر ١٩٥٥



في مرصد
(أفيو) ..

في مرصد (آفيو) ..

يقع مرصد (آفيو) في (بورنيو) عند بروز بالجبل ..
وفي الشمال يمتد نطاق الصخور ، باللون الأسود في
الليل أمام زرقة السماء السرمدية ..

ومن المبنى الصغير المستدير الذي تشبه قمته عثم
الغراب ، تتحدر الجوانب بحدّة لتغيب وسط الأحراش
الاستوائية تحتها ..

ويعيش مراقب المرصد ومساعده في منزل صغير ،
على بعد خمسين ياردة من المرصد .. بينما وراء هذا
تقع أكواخ العمال الوطنيين ..

وكان (تادي) - الملاحظ الرئيسي - مصابًا بوعكة
بسيطة .. من ثم تولى المساعد (وودهاوس) عملية
المراقبة هذه الليلة ..

جلس هذا الأخير صامتًا يتأمل الليل الاستوائي هنيهة ..
قبل أن يبدأ سهرته وحيدًا ..
كان الليل ساكنًا تمامًا ..

ومن حين لآخر تدوى أصوات ضحك من أكواخ
الوطنيين .. أو صرخة حيوان آتية من قلب الغابة الغامض .

على حين تخرج حشرات الليل من الظلام ..
وتتراقص حول الضوء ..

وبالتسبة لعلماء الطبيعة تعتبر أدغال (يورتيو)
معجزة .. ملأى بالأسئلة الغامضة والكشوف الغريبة ..

كان (وودهاوس) يحمل مصباحاً صغيراً ، ينعكس
ضوءه الأصفر أمام خلفية من الأزرق والأسود .. أما
حامل المصباح نفسه فقد طلا يديه ووجهه بالدهان
ليتلقى شر لدغات اليعوض ..

وتلهد إذ فكر فيما ينتظره من عناء وجهه عضلى فى
أثناء المراقبة ، ثم تعطى ودخل التلسكوب ..

ربما كان القارئ ملماً بتصميم المرصد الفضائى
العادى .. فالمبنى يكون أسطوانياً .. له قبة نصف
كروية يمكن إدارتها من الداخل ..

ويوضع التلسكوب فوق صخرة عالية ، ويتم إعداده
ليدور مع عقارب الساعة كى يعوض دوران الأرض ..
مما يساعد على الحفاظ على رؤية نجوم - مثلاً - فى
ذات الموضوع دائماً ..

وهناك عدد من العجلات والمسامير تتيح للراصد أن
يحكم ضبطه ..

ويجلس الراصد - أو يرقد - على سطح خشبى يمكن
أن يحركه إلى أى موضع من المرصد .. والإظلام تام
بالداخل حتى يزيد تألق النجوم التى ترمقها ...

دخل (وودهاوس) إلى المرصد .. كان المساء
يزحف وقد راح يتحول إلى ظلال تملأ المكان ..

أما الفتحة التى سيتم الرصد منها ، فكانت بشون
أزرق شفاف ، وقد التمت ستة نجوم بتألق استوائى
صميم فيها .. مرسله ضوءاً شاحباً من خلال الأبيوب
الأسود للتلسكوب ..

حرك (وودهاوس) العجلات .. فراح الأبيوب
العماق يميل لياخذ وضعه الجديد ..

انتزع سترته لأن الليل كان شديد الحرارة .. ووضع
المقعد غير المريح الذى سيكون عليه أن يجلس فوقه
أربع ساعات كاملة ..

لم يكن هناك صوت داخل المرصد ..
وفى الخارج كنت تسمع من حين لآخر صرخة
حيوان يتألم ، أو ينادى رفيقته .. بالإضافة إلى أصوات
الخدم من قبائل (الداياك) ..

لقد بدأ أحد الرجال ينشد أشودة عجيبة ، فكان
الرجال الآخرون يردون عليه بعض المقاطع ..

ثم ساد الصمت .. وبات واضحاً أنهم أخذوا إلى النوم وازداد الصمت الهامس دقيقةً دقيقةً ...

كان (وودهاوس) يصفى للصمت .. وصوت عقارب الساعة المنتظم .. وظنين بعوضةً تعبت هنا وهناك باحثةً عن نعاء تمصها .. ثم انطفأ المصباح وساد الظلام ..

بدل الرجل موضعه إلى وضع أكثر راحة ، ليتمكن من متابعة التلسكوب في وضعه الجديد ...

راح يرقب حشداً من النجوم في (درب اللبانة) .. فقد لاحظ رئيسه - أو ظن أنه لاحظ - تنوعاً لونيّاً فريداً ، في أحد نجوم هذا الحشد ..

ولم يكن هذا العمل أساسياً في مهام المرصد .. وربما لهذا مارسه (وودهاوس) في اهتمام واستمتاع شديدين ..

لقد نسي كل ما هو أرضي .. وتلخص العالم كله بالنسبة له في دائرة زرقاء كبيرة هي حقل التلسكوب .. انتشرت عليها كالبيدرة نجوم لا حصر لها .. كلها تتألق .. تدريجياً أحسن أنه فقد ماديته .. كأنه يحلق في أجواز الفضاء .. وقد غدا كياناً أثريّاً ..

فجأة - وتلمحة - أسود الكادر .. وتلاشت النجوم .. ثم عادت تتألق .. فقال لنفسه في حيرة :

- غريب !.. ربما كان هذا ظناً ..

وهنا حدث الشيء من جديد ..

ثم ارتجفت أنبوبة التلسكوب كأنما هناك من ضربها .. ودوى صوت ضربات تنهال على قبة المرصد ..

وبدت النجوم كأنما تتسحب جانباً .. لأن التلسكوب - الذي لم يكن مثبتاً - ابتعد عن فتحة الرصد في السقف .

صاح (وودهاوس) في منع :

- رياه !.. ماذا حدث ؟

بدا له أن جسماً أسود عملاقاً .. له شيء يرفرف كجناح ، بدا له يحاول التملص من فتحة المرصد ..

وفي اللحظة التالية عاد (وودهاوس) يبصر الفتحة .. وبدت له من جديد نجوم درب اللبانة .. لامعة متألقة ..

وداخل المرصد كان الظلام دامساً ..

فقط صوت حفيف بالداخل يعن وجود ذلك المخلوق المجهول ..

تخرج (وودهاوس) من المقعد ليقف على قدميه ..

كان يرتجف بشدة .. وقد غمره العرق إثر هذا الحدث
المعاجز ..

هل الشيء - أيا ما كان - بالداخل أم بالخارج الآن ؟
وهنا تآرجح التلسكوب .. فوثب (وودهاوس)
والقأ .. ومد تراعاه لأعلى ..

إن الشيء بداخل المرصد إذن .. معه ..
ومن الواضح أنه يتعلق بالسقف .. ما هو ؟ هل
يراه الآن ؟

إن الوحش - أيا ما كان - يتعلق بداخل القبة .. ثم
أحسن بشيء يرفرف جوار رأسه ، ورأى ضوء النجوم
يلتصع للحظة فوق بشرة كأنما هي جلد مدهون بالزيت .
وسقطت زجاجة الماء من فوق المنضدة وتهشمت ..
لم يكن الإحساس بوجود طائر يحوم على بعد
ياردات من وجهه في الظلام ساراً بأى شكل بالنسبة
له (وودهاوس) .. وخطر له أن هذا ربما كان طائراً
ليلياً أو وطواظاً ..

على كل حال .. فليبر ما هناك .. جذب عود ثقاب
من حافظته ، وحاول أن يحكه في المقعد ..

تألق لهيب فوسفوري للحظة .. وتألق عود الثقاب ..
ورأى جناحاً عريضاً يطير نحوه .. نوعاً من الفراء

البنى الرمادي .. ثم شعر بضربة في وجهه .. وسقط
عود الثقاب من يده ..

ثمة مخلب مزق هذه .. فسقط أرضاً وسمع المصباح
يتهشم .. وشعر بدمه الحار يجري على وجهه ..

غريزياً شعر بأن عينيه مستهدفتان ، فأدار وجهه
بعيداً .. وحاول أن يزحف ليكون محتئماً بالتلسكوب

ضربة أخرى في ظهره .. وسمع سترته تتمزق ..
ثم ضرب الشيء سقف المرصد ..

دفن (وودهاوس) جسده قدر الإمكان بين عدسة
المرصد والمقعد الخشبي .. وكوّر نفسه بحيث لم يبق
مكتشفاً سوى قدميه .. على الأقل كي يركل بهما ..

تعلق الشيء الغامض بالتلسكوب .. وجعله يتأرجح -
بعد هذا رفراف بقربه .. فركله (وودهاوس)

بقدمه .. وشعر بها تصطدم بجسم طرى ..
أصابه الذعر إلى حد مروع ..

لاهد أن الشيء ضخم كي يؤرجح التلسكوب هكذا ..
وفي ضوء النجوم رأى حدود رأس عملاق له أنثنان
حائتان منتصبتان ..

من ثم راح يصرخ بأعلى صوت عنده طالباً الغوث .

وهنا هبط الشيء نحوه .. ركله (وودهاوس) ..
فأحس بكاحله محشوراً بين صف من الأسنان الحادة ..
عاد يصرخ .. وراح يركل بالتقدم الأخرى .. وهنا
تذكر أن زجاجة الماء المكسورة توجد جواره ..
فاتترعها .. وتحسن في الظلام قرب كاحله حتى وجد
أنها يكسوها الفراء كأن قط عملاق ..
أسك بالزجاجة وهوى بها فوق رأس الوحش الغريب،
وكرر الضرب .. وطعن بالطرف المدبب في الظلام حيث
قدر أن توجه هناك ..
عندئذ أطلقت الأنياب سراح كاحله .. استجمع قواه
وركل بعنف .. وأحس بالعظام تتهشم تحت كعب
حذائه .. ثمة عضة في ذراعه .. لكنه وأصل الركل ..
وساد الصمت .. ثم سمع صوت مخالب .. وجسد ثقيل
ينسحب فوق أرضية المرصد .. وعاد الصمت من جديد .
لا صوت سوى أنفاسه .. وصوت يشبه اللعق ..
راح ينتظر في الظلام .. حتى بدا له الانتظار بلا
نهاية ..
بحث في جيبه عن أعواد ثقاب ، فوجد واحداً ..
حاول أن يشعله ، لكن الأرض كانت مبتلة تماماً ..

أطلق سبحة .. فهو لم يكن يذكر موضع الباب ..
يبدو أن الشيء عاد يتحرك نحوه ، وقد سمع صوت
الثقاب .. فصرخ (وودهاوس) :
- أريد وقتاً !

لكن الشيء لم يعاود الهجوم .. لا بد أن الزجاجة
المكسورة أدته كثيراً .. كان الألم يمزق كاحله ..
وتساءل عما إذا كانت ساقه ستتحمل الوقوف ..
لا صوت في الظلام لأى شيء يتحرك .. إن الحمقى
النائمين لم يسمعوا رفرقة الأجنحة ولا صرخاته ..
لاداعى إن لمزيد من الصراخ فقد يفلد قواه ..
وهنا رأى ضوء النجوم الظاهر من فتحة المرصد
بخبو ويتألق .. هل هو موشك على فقدان الوعي ؟
ليس هذا من الحكمة ..

ضغط على قبضتيه وأسنائه ليتماسك .
إن النجوم القاهرة هي من مجموعة (ساجيتاريوس)
في الجنوب الشرقي .. والباب في الشمال .. أم هو في
الشمال الغربي ؟!

لو استطاع أن يصل إليه لفر من المكان .. إنه
ليشعر بتوتر وحشى ..

وهنا رأى الشيء يتحرك .. رآه يعتم ضوء النجوم .
هل هذا تراجع ؟

المخيف أنه لا يشعر بقلق .. إنه ظمآن .. لكنه
لا يرغب في البحث عن ماء .. لحظة فلحظة ينزلق عبر
قمع طويل .. مظلم ..

أخيراً شعر بحرقه في حلقه ..

عندئذ أدرك أن هذا هو النهار ..

وأدرك أن أحد الخدم من قبيلة (الداياك) يرمقه في
دهشة .. ثم رأى وجه (تادي) المقلوب ..

إنسان غريب هو (تادي) كي يمشى بوجهه مقلوب
كهذا !

ثم بدأ يفهم الموقف ..

إن رأسه ممدد على ركبة (تادي) ، بينما هذا
الأخير يقدم له البرادى .. ثم رأى عساة التمسكوب
وعليها بقع حمراء .. فتذكر كل شيء ..

قال (تادي) :

- لقد ملأت المرصد بالفوضى !..

كان (الداياك) يخفق بيضة فسي (البرادى) .. ثم
ناوله (وودهاوس) .. شربه .. ثم جلس شاعراً بألم
حاد .. كان كاحله مربوطاً وكذا ذراعه ونصف وجهه ..

أما الزجاج المحطم الملوث بالدم فتناثر على
الأرض .. وقد انقلب مقعد التمسكوب .. وانفتح الباب ..
ومن خلاله رأى قمة الجبل ..

قال (وودهاوس) :

- باه !.. من الذى كان ينبج الأغصام هنا ؟.. أخرجنى
من هذا المكان !

ثم تذكر معركته مع الشيء .. فسأل (تادي) :

- ماذا كان ذلك ؟

- أنت خير من يعلم .. على كل حال لا تقلق ..

قال (وودهاوس) :

- كان الشيء أقرب إلى وطواط عملاق منه إلى أى
شيء فى العالم .. له أثنان مديبتان وفراء ناعم وجناحان
جلديان .. أسنانه دقيقة لكنها حادة شيطانية ..

قال (تادي) :

- كانت هذه الأسنان تقطع كاحلك ..

- كان يضربنى بمخالبه بسلاسة .. وهذا كل ما أستطيع

قوله عنه .. كان حوارى معه حميماً لكنه خال من الود .

- يتحدث (الداياك) عن وحش يدعى الـ (كولوجو)

الكبير - أيًا كان هذا - لا يهاجم الناس عادة .. لكنك



انتصارات دباغ

فيما يبدو أثرت أعصابه .. هناك (كولوجو) كبير ..
 و (كولوجو) صغير .. وكلاهما يطير ليلاً .. أنا أعرف
 أن هناك سناجب طائرة و ثعالب طائرة هنا .. لكنها
 ليست ضخمة الحجم كما تصف وحشك هذا ..

قال (وودهاوس) .. ووافقته (تادي) على كلامه :
 - ثمة أشياء في الأرض والسماء وغايات (بورنيو)
 أكثر من كل ما حلم به فلاسفتنا .. وعلى كل حال .. إذا
 كانت عجائب (بورنيو) تتوى أن تظنني على
 أسرارها ؛ فليكن ذلك في وقت لا أكون فيه داخل
 المرصد .. وحيداً في الظلام ...!

٩ أغسطس ١٨٩٤

* * *

انتصارات دباغ

ها هنا نقدم لكم بعض أسرار دباغة الجلود ..
حكاها لى دباغ فى حالة التيساط ..
حكاها لى فى تلك الفترة ما بين الكأس الأولى من
(الويسكى) والكأس الرابعة .. حين يتخلى عن المرء
حذره وبرغم هذا لا يكون قد ثمل بعد ..
جالسين فى صومعته .. التسى هى كذلك مكتبته
وغرفة جلوسه وغرفة طعامه ، تفصلنا ستارة من خرز
عن المكان الذى يمارس فيه مهنته ..
كان يريح حذاءه فوق رف المدفأة .. وقد نفا قدميه
فى شىء يشبه الحذاء ، اصطنعه من سجادة قديمة ..
أما عن سرواله - بالمناسبة برغم أنه لا دخل له فى
انتصاراته - فكان شيئاً عتيقاً يعود إلى زمن أجدادنا ..
أما شعره فكان أسود .. ووجهه وردنياً .. وعيناه
بنيتين .. ومعطفه مصنوعاً أساساً من الشحم مع لمسة
من الفراء ..
أما عويناته فكانت منحرفة .. عينه اليمنى تبدو
وراء الزجاج مكبرة مظلمة .. أما عينه اليسرى فتحديق
فيك مباشرة .. صغيرة .. تخترقك بحدة

قال لي :

لم يوجد قط رجل يجيد فن (التصبير) مثلي .. لقد
(صبرت) أفيالا .. وصبرت الديدان .. ولقد بدت
جميعها أكثر حياة وأجمل مما كانت عليه ..

بل إنني صبرت البشر .. وذات مرة صبرت زنجياً !
كلا .. لا يوجد قانون يمنع هذا .. لقد صبرته بحيث
تمتد أصابعه مفرودة ، واستعملته كحامل للقبعات .. لكن
ذلك الأحمق (هو ميرسبي) تشاجر معه ذات ليلة ..
وأنتفه ..

كان هذا قبل أن تولد أنت .. إن الحصول على الجلود
عسير ولولا هذا تصنعت لنفسى واحداً آخر ..

غير سار ؟ لا أرى ذلك .. أحياناً أرى أن الدباغة هي
طريقة واحدة بالإضافة إلى أسلوبى الدفن والحرق .
يمكنك أن تحتفظ بأحياك جوارك مبعثرين فى أرجاء
دارك .. سيجعل هذا منزلك عامراً مسلماً .. بل ويمكنك
أن تزودهم بمحركات ليقوموا بعمل ما تريد ..

بالطبع يحتاجون إلى تلميع بالورنيش .. لكنهم لن
يحتاجوا إلى أكثر مما يحتاجه الناس الأحياء فى العادة .
يمكنك أن تثرثر معهم دون مقاطعة .. وحتى الخالات ..
صدقنى .. إن مستقبلاً عظيماً ينتظر فن الدباغة .

وهنا عاد الصمت ..

ثم إنه امتص غليونته شارداً :

- ثم هناك الحفائر .. لا .. لا أظن أنه على أن
أخبرك بهذا .. لا .. شكراً .. لا تضيف الكثير من الماء .
بالتأكيد ما سأقوله لك هو سرّ بيننا .. هل تعرف

أنتى صنعت بعض البجع العملاق وطائر (دودو) ؟ ..
لا ؟ .. واضح أنك مجرد هاو فى فن الدباغة ..
يا عزيزى .. إن نصف البجع العملاق فى العالم لا يزيد
أصالة على ذلك المنديل الذى زعموا أنه يخص القديسة
(فيرونيا) .. نحن نصنع هذا البجع من الريش ..
وحتى بيض هذا البجع نصنعه ..

- يا للسماء !

- نعم .. نصنع البيض من الخزف الرقيق .. إن
للبيض ثمنه .. لقد بلغ ثمن إحداهما ثلاثمائة جنيهه
استرليني .. إن تزييف البيض لعمل متقن .. ثم يكون
عليك أن تكسوها بالغبار .. ولا أحد من مائتى هذا
البيض يجرز على تنظيفه .. وهذا هو الجميل فى
الموضوع .. إذا هم شكوا فى بيضة لا يجرون على
فحصها بدقة .. إنها لشيء هس للغاية ..

أنت لم تعرف قط أننا وصلنا إلى هذا التقدم .. بل قد
وصلنا إلى ما هو أكثر .. لقد تحدثت الطبيعة ذاتها
يا بنى .. لقد قمت بابتكار واحدة من البجع الأصيل
المنقرض ..

لو أنك درست علم الطيور لعرفت روعة ما قمت به .
وليس هذا هو كل شيء .. أتراك سمعت عن
الـ (دينورنيس) ؟.. إنه واحد من تلك الطيور العملاقة
التي انقرضت من (نيوزيلاندا) .. واسمه الشائع هو
(موا) .. لا يوجد (موا) الآن .. أتري ؟.. حسن ..
كان لديهم بعض من عظامه وبعض الريش وبعض
أجزاء جافة من جلده .. وجدوها في أحد المستنقعات ..
في هذه المرة لم أحتج إلى عظام .. قمت بتزييف
(موا) كامل كأنما تم تصبيره .. أعرف شابًا يزعم أنه
وجدها في مستنقع مضاد للتلوث .. ويقول إنه صبره
في الحال قبل أن يتحول إلى فتات ..

إن الريش مشكلة .. لكنني استعمل ريش البجع بعد
أن أغير منظره .. نعم .. ذلك هو سرّ الرائحة التي
تشمها ..

سستكشف الخدعة فقط لو استعملت مجهراً .. لكن

أحدًا لا يجرؤ على جذب ريشة واحدة من هذه العيقات
المتنازة مخاطراً بإتلافها ..
وهكذا - ترى - أعطى دفعتي الخاصة في تقدم
العلم .

لكن كل هذه نماذج لمحاولتي تقليد الطبيعة .. لقد
قمت أكثر من هذا في شبابه ..
وأزل أقدميه من على حاجز المدفأة .. واتحى بثقة
نحوى :

- لقد صنعت طيورًا جديدة !.. لا تشبه أي طائر في
العالم ..

وعاد إلى وضعه السابق قائلًا :

- أنا أزيد الكون ثراء .. بعض الطيور التي لفقتها
كانت طيورًا مفردة جميلة .. وبعضها كان عملاقًا ،
إن أضخم طائر لفقته هو طائر الـ (أومالوتورمكس
جيجونا) .. (جيجونس) باللاتينية معناها (فارغ) ..
وقد سميت هكذا لأنه كان بالفعل مفرغًا من الداخل ..
مجرد قشرة .. إن (جافرس) العجوز يملك الشيء
الآن .. وهو فخور به مثلما أنا فخور به .. إنه تحفة
يا (بيلوز) .. فيه كل غباء البيجة .. وكبرياء البيغاء

المتفرد .. وصراع الأنوان السخى فى الطاووس .. ياله
من طائر !! صنعته من هياكل (نلتق) و (طوقان)
مع كثير من الريش ..

إن الدباغة تصير متعة حقيقية جديدة بفنان

كيف وصلت إلى هذا ؟ .. ببساطة مثل كل الاختراعات
العظمى .. كان هناك عالم شاب معدوم الخبرة ، كتب
ترجمة عن طيور (نيوزيلندا) فى مجلة علمية ..
ترجمها عن الألمانية مستعملاً قاموساً وكاءه الفطرى
الذى ورثه بالتأكد عن أمه ..

ذكر فى مقاله هذا شيئاً عن طائر ارتفاعه خمسة
أقدام .. يعيش فى الأحراش .. خجول .. نادر .. يصعب
الحصول على عينة منه .. إلخ ..

وكان أن قرأ (جافرس) العجوز هذا المقال .. إن
(جافرس) كجامع للعينات العلمية هو رجل جاهل إلى
حد معجز .. وأقسم إنه سيحصل على هذا الطائر ..
وراح يطالب الموردين بأن يجلبوه له ...

هذه هى فائدة الإصرار .. هو ذا رجل يرغب فى
الحصول على طائر لا وجود له .. ولم يوجد قط .. ولن
يوجد أبداً لو تركنا له حرية الاختيار ..

أصرَ هذا الرجل على الحصول على الطائر .. وقد
حصل عليه .. !

هل لك فى مزيد من (الويسكى) يا (بيلوز) ؟

ثم راح الدباغ يحكى لى كيف صنع عروس بحر
قاتنة .. وكيف أن واعظاً لم يجد مستمعين لمواظبه
بسببها ؛ هشمها فوق مرتفعات (بورسلم) لأنها نوع
من الأصنام .. لكن هذا الحادث سر لا يجوز نشره ..
ولما كان القارئ غير ملم غالباً بالأساليب التى
يتبعها جامعو العينات العلمية ؛ فقد يتشكك فيما قاله هذا
الدباغ ..

إلا أتنى أعرف أن بعض علماء الطيور المتميزين قد
واقفوا على هذه العينات .. وقد ظهر مقال عن طائر
(نيوزيلندا) فى جريدة صباحية ذات سمعة لا غبار
عليها ..

لقد كان الدباغ يحتفظ بنسخة منها .. وقد جعلنى
أراها لأتأكد من كلامه .

مع تحيات منتدى ليلاس



الغرفة الحمراء

ها هو ذا (ه . ج . ويلز) يأخذنا معه في رحلة عبر شيطان الخيال الإنساني المترامية .. نفرّ من رأس مقطوع لأكل لحم بشر .. لنواجه النمل المفترس على ضفاف نهر (الأمازون) .. ونواجه وحشًا غامضًا في الظلام داخل مرصد .. لنجد أنفسنا وقد دخلنا - بكامل إرادتنا - إلى الغرفة الحمراء !